

رسالة

اليونسكو

أكتوبر - ديسمبر 2021

قصص الهجرة

- في **نيجيريا**، الحلم بأيّ ثمن
- المهاجرون لأسباب مناخية في **البيرو**
- التاريخ الطويل **للصينيين** المقيمين وراء البحار
- «تاريخ الإنسانية حكاية هجرات مُتعاقبة»
- حوار مع **إيفا-ماريا غيغل**



ضيفتنا

أمريكا اللاتينية، إلدورادو الديناصورات
حوار مع الأخصائية في علم الأحفوريات، مريم
بيريز دي لوس ريوس،

أفكار

العلم المفتوح،
حلم بدأ يتحقق



اشتركوا في النسخة الرقمية

مجانا
100%



<https://ar.unesco.org/courier/subscribe>

تصلكم موفى كل ثلاثة
نسخة ورقية من العدد الأخير

سنة واحدة (4 أعداد): 27 يورو
سنتان : (8 أعداد): 54 يورو

وحيث أن هذه النشرة ليس لها غاية ربحية،
فإن سعرها يُغطّي فقط تكاليف طبعتها.



اطّلع وتقااسم

ساهموا في إنجاح رسالة اليونسكو
بالتشجيع على ترويجها واستعمالها طبقا
لسياسة الاستعمال الحر للمنظمة.



تابعوا آخر أخبار
رسالة اليونسكو
unescocourier@



أنستغرام



تويتير



فيسبوك

الإرشادات وحقوق إعادة النشر:

courier@unesco.org
7, place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, France
© UNESCO 2021
ISSN 2220-3540 • eISSN 2220-3559



مجلة فصلية حرة الإقتناء، بترخيص من
Attribution-ShareAlike 3.0 IGO (CC-BY-SA 3.0 IGO)
(<http://creativecommons.org/licenses/by-sa/3.0/igo/>)
يعترف مستعملي محتويات المجلة بقبولهم شروط الإستعمال
المنصوص عليها في نظام التوثيق المفتوح لليونسكو
<http://ar.unesco.org/open-access/>

يطبق هذا الترخيص حصرياً على استعمال النصوص. بالنسبة
لاستعمال الصور، من الضروري توجيه طلب إلى اليونسكو
للحصول على ترخيص مسبق.

إن التسميات وطريقة تصميم المعطيات الواردة في هذه النشرة
لا تعبر عن أي موقف لمنظمة اليونسكو حول الوضع القانوني
للدول، وللأراضي، وللمدن أو المناطق، أو حول الهيئات الحاكمة،
أو الحدود المرسومة.

تعبر المقالات الواردة في هذه النشرة عن أفكار وآراء مؤلفيها،
وهي ليست بالضرورة آراء منظمة اليونسكو ولا تلتزمها بأي
شكل من الأشكال.

إخراج الصور: دانكا بيجلاك

تنسيق الترجمة والإخراج: ماري-تيريز فيدياني
مساعدة الإدارة والتحرير: كارولينا رولان أورتيغا

الإنتاج والترويج:

إيان دنيسون، رئيس وحدة النشريات
إيريك فروجي، مساعد رئيسي للإنتاج

الإنتاج الرقمي:

دنيس بتزاليس، مصمم ومطور مواقع الكترونية
المكلفة بالاتصال: لايتيسيا كاسي،

الترجمة: منير الشرفي، نبيل السخاوي،

التصميم: جاكلين جانسون-بلوخ

صورة الغلاف: © أنيازكا زيميسرفسكا

الطباعة: اليونسكو

المتدربون:

لزهو مانكينغ، لي بيهونغ (الصين)،

النشرات المشتركة:

إسبيرانتو: شان جي

البرتغالية: إيفان سوزا روشا

الكتالونية: جون-ميشال أرمنغول

الكورية: سون مي كيم

2021 - العدد 4 - تصدر منذ 1948

تصدر رسالة اليونسكو فصلياً عن منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة. هدفها التعريف بالمثل العليا للمنظمة
من خلال نشر تبادل الأفكار حول مواضيع ذات بُعد دولي
ومتعلقة بالمهام الموكولة إليها.
تصدر رسالة اليونسكو بفضل الدعم السخي الذي توفره
جمهورية الصين الشعبية.

المدير: ماتيو غيفال

رئيسة التحرير بالإناية: أنياس باردون

أمانة التحرير: كاترينا مركيلوفا

محررة: شان سياورونغ

مستشارة التحرير: جيني دار

التحرير:

الإنجليزية: شراز سيدهما

الإسبانية: لورا برديخو

الروسية: مارينا يرتسيفا

الصينية: سون مين ودار الصين للترجمة والنشر

العربية: فتحي بن الحاج يحيى

الفرنسية: كريستين هرمي، مكلفة بالمراجعة

التحرير الإلكتروني: ميلا إبراهيموفا وليندا كلاسين

قصص الهجرة

- 7..... في نيجيريا، الحُلم بأيّ ثمن
لانر إيكوتاييجو
- 10..... اللاجئون: حتى نقطع مع الأحكام المسبقة.
ألكسندر باتس
- 14..... في البيرو، تزايد مستمر لأعداد المهاجرين لأسباب مناخية.
لورا بيرديخو
- 17..... في كندا، مركز لمعالجة أمراض المنفى
غاي سابوران
- 20..... الهاتف الجوال، البوّصلة التي لا غنى عنها للمهاجرين
موحي الناجي
- 22..... فينيرا توكتوروفا، مسار مهاجرة قيرغيزية
نازيجول جوسوبوفا
- 24..... التاريخ الطويل للصينيين المقيمين وراء البحار
زهوانغ غوتو
- 27..... الأسنان، مرآة لتقلّاتنا عبر التاريخ
جينني داري
- 28..... «تاريخ الإنسانية حكاية هجرات مُتعاقبة»
إيفا-ماريا غيغل

زوم

- 30..... «اليونسكو أتاحت لي رؤية العالم»
دومينيك روجيه

أفكار

- 41..... العلم المفتوح، حلم بدأ يتحقق
شريفة أبو قاسم زغموري
- 44..... من أجل تقييم علمي أكثر شفافية
أليكس هولكومب

ضيفتنا

- 46..... أمريكا اللاتينية، الدورادو الديناصورات
مريام بيريز دي لوس ريوس

تحليل

- 50..... مهنة الصحفي محفوفة بالمخاطر

الافتتاحية

عائلتُ ملقاة على قارعة الطرق جزاء الحروب؛ مخيمات مرتجلة مقامة على مشارف المدن؛ ناجون من مجازفات محفوفة بالمخاطر لعبور البحر... تلك هي الصّور المتداولة عبر القنوات الإخبارية عن المهاجرين والتي أفضت إلى التهوين من قضيتهم لمجرد تحويلها، في غالب الأحيان، إلى نوع من التنميط الذي يحيل إلى مأساة العصر. ومع ذلك، فإنّ هذه الأحداث تعكس أوضاعاً حقيقية تماماً، مثل تلك التي يعيشها، حالياً، المدنيون السّاعون إلى مغادرة أفغانستان. إنّها الوجه التراجيدي للهجرة، وهي أبعد من أن تلخّص الواقع المعقد، والمتعدّد والمتغيّر لهذه الظاهرة الكبرى للقرن الحادي والعشرين. ففي عام 2020، قدّرت المنظمة الدولية للهجرة (OIM) عدد الأشخاص الذين غادروا بلادهم بنحو 272 مليون شخص هرباً من العنف أو الكوارث الطبيعية أو الآثار الناجمة عن تغير المناخ، وكذلك من أجل الدراسة، والبحث عن شغل، واستنباط حياة أفضل في مكان آخر.

هذا الرقم، الذي ما فتى يتزايد بانتظام، أصبح يُستغلّ بسهولة من قبل الذين يستخدمونه كسلاح سياسي ويلوّحون بما يُمثّله المهاجرون من تهديد، فيجعلون منهم كبش الغداء المناسب ويحمّلونهم مسؤولية مخاوف المجتمعات المضيفة ومشاعر الإحباط التي تنتابها. هذه المخاوف، التي تشدّت في فترات الأزمات الصحية، تتغذّى أيضاً من الأفكار النمطية والأحكام المسبقة عن المهاجرين فتحجب عدداً من المعطيات المثبّته على نطاق واسع، خاصةً منها القائلة بأنّ موجات نزوح السكان تجري أولاً فيما بين البلدان المنخفضة الدخل أو المتوسّطة الدخل، وأنّ حوالي نصف عدد المهاجرين لا يعبر حدود أوطانه.

كما أنّ هذه الأحكام المسبقة تغذّي خطابات الإقصاء، والعنصرية، والتّمييز ضد الوافدين الجدد، وتستهدف النساء على نحو خاص. وقد بادرت اليونسكو، من أجل تشجيع العيش معاً والحدّ من أوجه التّمييز، تحديداً، بإنشاء التحالف الدولي للمدن المستدامة الشاملة للجميع (ICCAR). كما تسعى المنظمة إلى التذكير بأن وراء جفاف الإحصائيات تختفي آلاف المصائر البشرية، وقصص لا حصر لها، أحياناً مأساوية، وأحياناً أخرى كثيرة سعيدة، فضلاً عن ثراء التمازج الثقافي الذي يشكل جزءاً من حياتنا وتاريخنا الجماعي.

وبالمناسبة، هل مازال لمصطلح الهجرة من معنى في مجتمعاتنا المعولة، والموسومة بتكتّف المبادلات، والتنقلات، إلى درجة أصبح معها المكان الآخر البعيد في متناول العدد الأكبر من الناس؟ في مؤلّفه نؤلّ أو «منسج التّمازج» Le Métier à métisser، يدعونا الكاتب الهايتي رينه ديباستر إلى إعادة النّظر في فكرة المنفى ذاتها، بقوله: «إن صيرورة العولة تدعونا إلى تجاوز الاعتقاد البائد بأنّه يجب على المرء أن يكون في منزله الذي تفوح منه رائحة قهوة جدته، حتى تكون له هويّة».

قصص الهجرة



بنور عنوان VIII، مجموعة لوحات (بوليفتيك) (مقطع تفصيلي) © 2006 أنابال غيرورو

▼ في سلسلة «أصوات من العالم»، تمثل تفاصيل الوجوه والأيدي المقاطع الوحيدة المرئية من الهوية / *Délocalisation* (2006) للفنان الفرنسي-الفرنزوي أنابال غيرورو.

وإزاء هذا الوضع، اعتمدت الأمم المتحدة الاتفاق العالمي من أجل الهجرة الآمنة والمنظمة والنظامية بغرض تحسين أوضاع المهاجرين على الصعيد العالمي، وتشجيع التعاون في مجال الهجرة. كما يُلزم هذا الاتفاق الدول بتقديم المساعدة إلى المهاجرين الذين يسلكون طرقاً محفوفة بالمخاطر.

فالاستغلال، والابتزاز، والعنف، نصيب الكثير من المهاجرين الذين يقعون تحت رحمة تجار البشر، ولا سيما المهاجرون غير الشرعيين منهم، إذ يدفع البعض حياته ثمناً لهذه الرحلة. ففي الثلاثي الأول من عام 2021 وحده، لقي 1146 شخصاً حتفهم وهم يحاولون عبور البحر الأبيض المتوسط.

وفي البلد المضيف - لمن استطاع الوصول إليه - غالباً ما يكون الواقع بعيداً عن الحياة التي يحلم بها المهاجرون إذ يقعون، في كثير من الأحيان، ضحايا الأفكار المسبقة والتمييز. ففقدوم مجموعات سكانية جديدة في سياق اقتصادي متدهور، يسوده القلق من المستقبل، غالباً ما يُنظر إليه كتهديد يُوَجِّج المخاوف ومشاعر الإحباط.

غير أننا ننسى أن الواقع أكثر تعقيداً وتبايناً مما يبدو إذ أن عدد المهاجرين لئن كان كبيراً فهو لا يمثل على الصعيد العالمي سوى 3,5% من سكان العالم، وهو أبعد ما يكون عن الاجتياح الذي يريد البعض وصف هذه الظاهرة به. ومن ناحية أخرى، فإن الغالبية العظمى من المهاجرين تنتقل داخل قارتها. ففي عام 2020، كان نصف عدد المهاجرين الدوليين تقريباً يقيمون في مناطقهم الإقليمية الأصلية.



لأول مرة منذ زمن طويل، انخفض نمو عدد المهاجرين الدوليين في عام 2020. ويُعزى هذا الانخفاض الطفيف، أساساً، إلى القيود المفروضة على التنقل في علاقة بجائحة كوفيد - 19 إذ ما فتئت أذواق الهجرة تتزايد باطراد منذ عدة عقود. ففي عام 2020، بلغ عدد الذين يعيشون في بلد غير بلدهم الأصلي 281 مليون شخصاً. وفي عام 2000، كان عددهم 173 مليون. وفي عام 1970، 84 مليون.

لقد رحل الإنسان على مرّ الزمن هرباً من الفقر، ومن أجل بناء حياة يأمل أن تكون أفضل. يترك أهله وذويه ليمنح نفسه مستقبلاً. واليوم، أصبحت المرات الرئيسية للهجرة، التي تشكلت عبر الزمن، تربط بين البلدان النامية والبلدان الصناعية مثل الولايات المتحدة، أو أوروبا، أو الاتحاد الروسي أو المملكة العربية السعودية.

والزحيل تمليه أيضاً النزاعات وأعمال العنف. ففي عام 2020، مثّل اللاجئون وطالبو اللجوء 12% من العدد الإجمالي للمهاجرين، مقابل 9,5% قبل عقدين من الزمن. وعلى مدى عشرين عاماً، بين عامي 2000 و2020، تضاعف عدد الأشخاص الذين أُجبروا على النزوح جراء الحروب أو الأزمات أو الاضطهاد، إذ ارتفع من 17 إلى 34 مليون نسمة حسب إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للأمم المتحدة. كما أن الآثار الناجمة عن تغيّر المناخ تُجبر أعداداً متزايدة من الأشخاص على الرحيل بسبب ندرة المياه أو تدهور الأراضي أو تآكل السواحل.

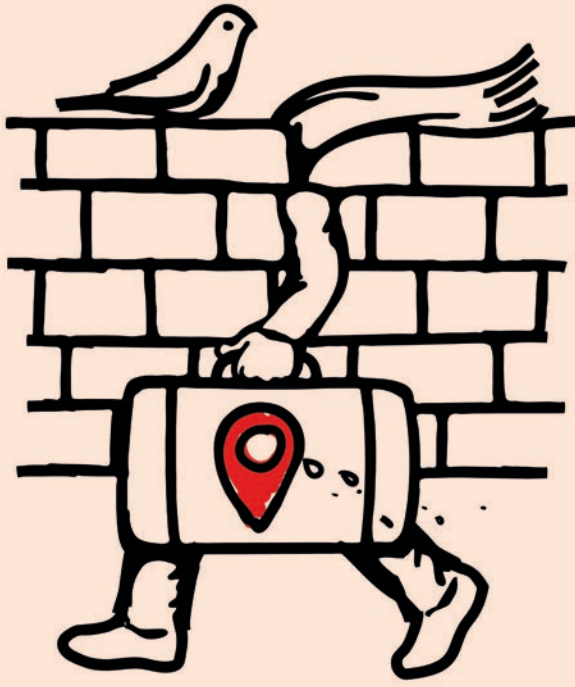
من أجل رؤية صحفية جديدة إلى المهاجرين

كما يقترح هذا الدليل وحدات دراسية بشأن مختلف الجوانب المتعلقة بتغطية مسائل الهجرة، من قبيل المصطلحات الرئيسية، والسياق، والتحديات المهنية، والممارسات الأفضل، والصدمات النفسية (التي يتعرّض لها المهاجرون واللاجئون، وحتى الصحفيون الذين يقومون بتغطية هذه المواضيع)، والتعاون العابر للحدود، وطريقة تقديم المواضيع. وقد تولّى إعداد هذه المجموعة من المسائل فريق دولي من الباحثين، والمدرسين والإعلاميين.

وسيتعلم الطلبة في مجال الصحافة من هذا الدليل أن تغطية المسائل المتعلقة بالهجرة تقتضي التمسك بأخلاقيات التغطية الإعلامية، والممارسات السليمة، واعتماد الوقائع والمصادر الموثوق بها. في حين يجد فيها الصحفيون المهنيون ما يساعدهم على تحسين فهمهم للسياقات وإيجاد إجابات على مختلف المعضلات.

تندرج قضيتا الهجرة والنزوح القسري ضمن المواضيع الأشدّ صعوبة بالنسبة لوسائل الإعلام إلى درجة أنّ الصحفيين وأجهزة الإعلام يتردّدون، أحياناً، في تناول هذه القضايا المعقّدة والحسّاسة.

وقد أصدرت اليونسكو دليلاً جديداً بعنوان إعداد التقارير عن المهاجرين واللاجئين: دليل للمدرسين في مجال الصحافة (بالإنجليزية فقط)، يساعد المدرّبين في مجال المهنة الصحفية على تناول هذه المواضيع. وهو مصدر حقيقي للمعلومات، ويوفّر عدداً كبيراً من الموارد المفتوحة للجميع، والتصوّرات النظرية، ودراسة حالات مأخوذة من كافة أرجاء العالم، وذلك من أجل التشجيع على معالجة أفضل للقضايا المتعلقة بالهجرة وإثارة نقاش عام أكثر توازناً وأفضل استنارة.



© Alireza Tabouk - posterfortomorrow - 2017

▼ حرية التنقل حق إنساني، معلقة من إبداع الرسّام الإيراني أليريزا تَبوك.

وننسى أيضاً أن نزوح السكان إنما هو جزء من تاريخ البشرية منذ نشأتها. فأقدم وجود بشري أو ما قبل البشري خارج أفريقيا يعود إلى أكثر من مليوني سنة.

ثم إننا ننسى بالخصوص أنّ وراء الإحصائيات الجافة تختفي مصائر بشرية، ومسارات حياة مأساوية أحياناً، وسعيدة في أغلب الأحيان، وأن امتزاج الثقافات يفضي إلى تلاقح عرقي مثمر، فضلاً عن قصص النجاح في عالم الأعمال التجارية، والرياضة، والموسيقية، والبحث العلمي. وعلى المدى الطويل، تُعد مساهمة المهاجرين، عموماً، ميزة هامة وورقة رابحة للمجتمعات المضيفة. وليس هذا الرأي لمنظمة غير حكومية وإنما لمجلس أوروبا. ففي تقرير صدر عن هذا الأخير في عام 2017 تحت عنوان الهجرة فرصة يجب اغتنامها من أجل التنمية الأوروبية، يؤكد أن التأثير الثقافي للمهاجرين «كان له انعكاس كبير على اتجاهات الفن، والموضة، والمطبخ في أوروبا، لصالح التنوع».

أدفاق الهجرة بالأرقام



25,9 مليون

مليون لاجئ سنة 2018

41,3 مليون

شخص مرّحّل داخل بلده الأصلي

بسبب أعمال العنف أو النزاعات

272 مليون

مهاجر دولي

عبر العالم سنة 2019

3,5 % من سكان العالم

52 % هم من الرجال



أهمّ البلدان

الأصلية للمهاجرين

المقيمين بالخارج :

الهند : 17,5 مليون

المكسيك : 11,8 مليون

الصين : 10,7 مليون

689 مليار دولار

من الأموال المحوّلّة عبر العالم

إلى البلد الأصلي

أهمّ المستفيدين :

الهند (78.6 مليار دولار)

الصين (67,4 مليار دولار)

المكسيك (35.7 مليار دولار)



أهمّ البلدان مصدر التحويل :

الولايات المتحدة (68 مليار دولار)

الإمارات العربية المتّحدة (44.4 مليار دولار)

المملكة العربية السعودية (36.1 مليار دولار)

بلد المقصد الأوّل

للمهاجرين المقيمين

بالخارج : الولايات المتحدة

المصدر : تقرير الهجرة في العالم، المنظمة الدولية للهجرة (OIM).

في نيجيريا،

الحلم بأيّ ثمن

أعداد الشباب الذين يختارون مغادرة البلاد في تزايد مستمرّ. فالبطالة، وغياب الأفق، والانجذاب القوي للعالم الغربي المتخيّل، وعدم إدراك مخاطر الهجرة غير الشرعية، تمثل جميعها عوامل مفسّرة لهذا النزوح الجماعي.

لانر إيكوتاييجو

أستاذ محاضر في قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في جامعة أوبافيمي أووؤوؤو بمدينة إيلي. إيفي، بنيجيريا.



بلغت نسبة

المعطلين عن

العمل، سنة 2020،

53,4% من الشباب

النيجيري

الأشخاص المستجوبين مرشّحون، عموماً، إلى الهجرة غير القانونية، فهم إمّا عاطلون عن العمل أو في سنتهم الأخيرة من التعليم العالي، أو ملحقون بالخدمة الوطنية الإلزامية. عبّر الشباب، المدرج في واحدة أو أكثر من هذه التصنيفات، عن مخاوفه من المستقبل ورأى في الهجرة استراتيجية للبقاء على قيد الحياة والتخلّص من الفقر والعجز. هذا، وشملت، أيضاً، الدراسة شبانا وشابات غادروا البلاد ثم عادوا إليها، إما طوعاً، أو إثر طردهم. الاستنتاج الأول: أغلب هؤلاء الشبان والشابات يجهلون الإجراءات الرسمية والقانونية المتعلقة بالهجرة. فأكثر من النصف لا يملك جواز سفر ساري المفعول كشرط أدنى

يشكل الشباب النيجيري العدد الأكبر من بين المهاجرين الذين يسافرون من بلدان الجنوب إلى أوروبا. فلماذا يقرّر هؤلاء الشباب مغادرة بلادهم؟ هل هم على دراية بالمخاطر المحتملة التي قد يتعرضون لها أثناء رحلتهم؟ ذلك هو موضوع الدراسة التي أنجزتها تحت عنوان «الهجرة غير النظامية كاستراتيجية للبقاء: روايات عن الشباب في الأوساط الحضرية بنيجيريا»، والمنشورة سنة 2019. أنجزت هذه الدراسة في أربع مدن نيجيرية كبرى -لاغوس، إيبادان، إيلي-إيفي، بنين سيتي- وقّع عليها الاختيار عليها نظراً لخصوصياتها في علاقة بالهجرة غير النظامية، واستهدفت شباباً تتراوح أعمارهم بين 15 و35 سنة. وجميع

لهجرة دولية آمنة وقانونية. وهم يعلمون أن الهجرة غير القانونية أو، كما يقال في نيجيريا، «السير على الأقدام إلى أوروبا» أمر ممكن. وأغلبهم يعرف أشخاصاً غادروا البلاد بطرق غير قانونية، سواء باستخدام وثائق مزوّرة أو باللجوء إلى متاجرين بالبشر أو إلى مهربين. ويرى جميعهم أن «الغاية تبرر الوسيلة». كما أنهم لا يعتبرون الهجرة غير النظامية جريمة، بل يرونها حلاً ملائماً «نكياً» لا يخلو من «الشطارة» للوصول إلى الخارج. فرغبتهم في الهجرة تحجب مخاطر الرحلة السريّة وتجعل منهم فريسة سهلة لعصابات الاتجار بالبشر.

حياة مثالية متخيّلة

إن «الغرب المثير للأحلام»، كتصور مثالي للحياة في البلدان الغربية، يتنزل في صميم مشروع الهجرة. وعموماً، يرى المستجوبون أن الأشخاص الذين استطاعوا أن يهاجروا



© Osama Hajjaj / Cartoon Movement

الهجرة الإفريقية إلى أوروبا، عمل فنّي للرّسام الأردني أسامة حجّاج، منجز لفائدة Cartoon Movement المنصّة العالمية للرّسم الصحفي، مقرّها هولندا.

اجتماعياً معيناً ويجعل من استضافة مهاجر عاد إلى بلده عنصر وجاهة أو هيبة إضافية. وتأتي المعلومات حول بلدان المقصد، التي غالباً ما تتسم بالمبالغة وعدم الدقة، من مصادر غير رسمية: الأصدقاء والأقارب والشبكات الاجتماعية.

كما تتأثر مواقف المستجوبين بالإذاعة والتلفزيون والموسيقى وغير ذلك من العروض القادمة من بلدان المقصد والتي تنقلها الثقافة الشعبية ووسائل الإعلام. فأن يكون المرء ممّن يوصفون بالـ «بين تو» been to الذي سبق أن ذهب، في إشارة إلى الذين زاروا قارات أخرى، لا سيما أوروبا وأمريكا، يمنحه ذلك مقاما

يتمتعون بنوعية حياة أفضل. تقول ساتورداي* في هذا الصدد، وهي شابة عاطلة عن العمل، تبلغ من العمر 29 سنة: «غالباً ما يعيش المهاجرون حياة أفضل بكثير من تلك التي نعيشها نحن في نيجيريا. فلديهم الكهرباء طوال الوقت، ويعيشون في ظروف مناخية أفضل، ويتوافر لهم غذاء صحي، ويتمتعون بأمان نسبي».

أفريقيا: موسيقى الراب للتحذير من الهجرة غير الشرعية

وبصرية، في ثمانية بلدان (الكاميرون، كوت ديفوار، غانا، غينيا-كوناكري، مالي، النيجر، نيجيريا، السنغال) باللغتين الفرنسية والإنجليزية إضافة إلى 20 لغة رسمية وطنية، مثل الباولي، والفانتني، والمالينكي، واليوروبا، والولوف. وكانت مقاطع الفيديو كليب التي تم بثها ثمرة عمل في ورشتي كتابة حول موضوع الهجرة نُظمتا في داكار (السنغال) ونيامي (النيجر) في أكتوبر ونوفمبر 2020، بالتعاون مع الرابطة الثقافية السنغالية Africulturban، والمنظمة النيجيرية غير الحكومية «منتدى الأنشطة الشاملة» Global Actions Forum، وصحفيين، وخبراء، وفنانين ومهاجرين. وفي غضون أسبوعين، سجلت هذه الحملة نحو ستة ملايين مشاهدة، وحققت ثلاثمائة ألف مشاركة على المنصات الرقمية.

حظي الفيديو كليب «حذرتك» Prévenue، الذي تم بثه بمناسبة الاحتفال باليوم الدولي للمهاجرين في ديسمبر 2020، بنجاح باهر في السنغال. ويظهر في هذا الكليب مغني الراب إكسومان Xuman وهو يحذر المغنية مامي فيكتور من المخاطر التي تنتظرها إذا ما حاولت أن تجرّب حظّها بالدخول في مسالك الهجرة غير الشرعية. وهذا الفيديو جزء من حملة توعية نفذتها اليونسكو في غرب ووسط أفريقيا، في نطاق مشروع بعنوان «توعية الشباب في أفريقيا من خلال وسائل الإعلام والاتصال». والهدف من هذا المشروع هو مدّ الشباب بمعلومات صحيحة ومتوازنة عن قضايا الهجرة وأوجه التمييز المسلط على المهاجرين في سياق الجائحة المرتبطة بكوفيد-19. فعلى مدى أسبوعين، تناقلت الشبكات الاجتماعية ووسائل الإعلام المحلية مقاطع فيديو كليب، ورسوم كاريكاتورية، ورسائل سمعية



كليب «تحذير Prévenue» لفنانتي الراب، كزومان ومامي فيكتور، ينبّه إلى مخاطر الهجرة السريّة. وقد حصل على 235 000 مشاهدة على قناة اليونسكو/داكار على اليوتيوب.



▼ الإعلام عن موجات الهجرة كما يراها فنّان الكاريكاتور الفرنسي-البوركيني، داميان غلاز. رسم منجز سنة 2020 في إطار حملة اليونسكو تحت شعار «إكساب الشباب الإفريقي الاستقلالية عبر وسائل الإعلام والاتصال».

إن فهم الأسباب التي تدفع الشباب النيجيري إلى الهجرة قد يثير أجوبة سياسية. فإقناع هذا الشباب بالعدول عن الرحيل، يقتضي من نيجيريا معالجة اللامساواة، وخلق فرص العمل، وتوفير الأمان لشعبها. ويجب وضع برامج وأنشطة لتتقيف الشباب بشأن المخاطر والفخاخ التي تنطوي عليها الهجرة غير النظامية، وفتح أعينه على المصير الذي ينتظر المهاجرين غير الشرعيين والحياة في بلدان المقصد. ويتعين أن تشمل البرامج التعليمية الخاصة بالمرحلة الثانوية مفاهيم عن حقوق المهاجرين والإجراءات الدولية في مجال الهجرة.

وعلى نيجيريا أن تنشئ اقتصاداً لصالح الشباب وتعزّزه، حيث يمكن للراغبين في أن يكونوا رواد أعمال من الحصول على الدعم المادي والمالي الضروري. إن كل من هذه التدخلات أساسية للحفاظ على ذلك الكنز الثمين من المهارات والقدرات التي يمتلكها شباب البلاد. ■

* تم تغيير جميع الأسماء المذكورة من أجل حماية هوية المشاركين في هذه الدراسة.

إن نمو أي بلد وتطوره يتوقفان إلى حد كبير على تنمية رأس ماله البشري، أي على التدريب والتعليم. غير أن الجامعات النيجيرية تعيش بانتظام حالة شلل جراء إضرابات الموظفين التي تعطل التدريس وتفرض على فقدان الثقة بهذه المؤسسات. وهو ما يدفع الشباب إلى البحث عن الدراسة في الخارج.

تثقيف الشباب في علاقة بمخاطر الهجرة غير النظامية

غالباً ما تُفرض هذه الأوضاع إلى نوع من الهجرة على مراحل حيث يفضل معظم الطلاب البقاء في البلد المضيق بعد نهاية دراساتهم بحثاً عن مستقبل أفضل بدلاً من العودة إلى بلادهم. أمّا جيسيك، التي استجوبناها، فقد انقادت وراء مهربين أغروها بتحقيق أحلامها في مجال الدراسة بالخارج. تقول: «أثناء عطلة الثلاثي الأول للمدرسة الثانوية، أخبر أحد أصدقاء العائلة والديّ بأنه سيأخذني إلى إيطاليا لمواصلة دراستي هناك. واستطاع إقناعهما بأن دراستي في إيطاليا ستكون أيسر». غير أنّها أدركت لاحقاً أنها حُدعت فعدت إلى نيجيريا.

وغالباً ما تُستقى المعلومات، المبالغ فيها أو غير الدقيقة، من بلدان المقصد من مصادر غير رسمية كالأصدقاء، والأقارب، والشبكات الاجتماعية.

بطالة متوطنة

إن الأوضاع الاقتصادية ومعدلات البطالة المرتفعة في صفوف الشباب تدفع بالنيجيريين إلى البحث عن فرص أفضل، ووظائف، وقدر أكبر من الأمان. وقد ورد في إحصائيات 2020 للمكتب الوطني للإحصاء أنّ 53,4% من الشباب عاطلون عن العمل. وجاء في تقرير ساعة الفقر في العالم أن 86 مليون نيجيري، أي ما يعادل 41% من السكان، في حالة فقر مدقع حالياً. وهذه الحقائق الاقتصادية، المقترنة بمتغيّرات أخرى من قبيل عدم الاستقرار السياسي وتصاعد النزاعات - إضافة إلى الآثار الناجمة عن جائحة كوفيد - 19 المتفشية حالياً - أفضت إلى مغادرة عدد متزايد من الشباب، من فئات معينة، نيجيريا، باتجاه بلدان يُعتقد أنّها واعدة بقدر أكبر.

واعترف أغلب المستجوبين الذين غادروا نيجيريا بصورة غير قانونية أنهم لم يكونوا على دراية بما ينتظرهم. وقد روى العديد منهم

يرى الشباب في الهجرة غير النظامية حلاً «لا يخلو من الشطارة» للوصول إلى الخارج

قصصاً مروّعة عن محاولاتهم للوصول إلى أوروبا سيراً على الأقدام. تروي جيسيك، الشابة التي تجاوزت سن الثلاثين والعائدة من إيطاليا، أن ست شاببات من اللاتي سافرن معها هُلكن في البحر. وكان عددهن 160 شابة موزعة على ثلاثة قوارب، تعطل اثنان منها في عرض البحر، وتوفيت ست راكبات قبل وصول النجدة. وفي النهاية، وقع استقبال الناجيات بعد وصولهنّ إلى إسبانيا من طرف مشغلين بعضهم في وضع قانوني والبعض الآخر غير شرعي.

يُعتقد أن كل اللاجئين الإفريقيين مُرشحون للهجرة إلى أوروبا، وأن المجتمعات المضيفة معادية لهم دائماً إذ سيتحوّلون، بالضرورة إلى منافسين للسكان المحليين في سوق الشغل. مثل هذه الأفكار المسلم بها، والواسعة الانتشار، تفنّدها إلى حدّ كبير التحقيقات الميدانية.

اللاجئون: حتى نقطع مع الأحكام المسبقة

الكسندر باتس

أستاذ مختص في الهجرات القسرية والشؤون الدولية بجامعة أكسفورد بالملكة المتحدة، ومؤلف كتاب *The Wealth of Refugees: How Displaced People Can Build Economies* «ثروة اللاجئين: كيف يمكن للأشخاص النازحين المساهمة في تطوير الاقتصادات».

المنظمة مثل العودة إلى الوطن أو الإقامة من جديد. ولا يهاجر إلى أوروبا أو غيرها من البلدان الغنية سوى جزء ضئيل فقط - أقل بكثير من 1% في السنة-.

الخلاصة: أغلبية اللاجئين يتم استقبالهم، وستتواصل استضافتهم، من قبل البلدان ذات الدخل الضعيف والمتوسط داخل منطقتهم الأصلية.

التماسك الاجتماعي المجتمعات المضيفة معادية، منهجياً، للاجئين

يسود الاعتقاد بأن المجتمعات المضيفة تعتبر حضور اللاجئين عبئاً عليها. إلا أنه في صورة إقرار سياسات مناسبة، يُمكن تغيير النظرة إلى اللاجئين من سلبية إلى إيجابية. ففي بعض المناطق الحدودية النائية، يمكن أن يُمثل وجود اللاجئين والمنظمات الإنسانية أحد الأسواق القليلة ومصدر التشغيل الوحيد بدليل أن وجود مخيم للاجئين في كاكوما، في كينيا، يوفّر للمجتمع المحلي منفذاً تجارياً للماشية وللحطب المعدّ للتسخين، وفرصاً للعمل، فضلاً عن الوصول إلى المدارس والمستشفيات.

التنقل

اللاجئون من إفريقيا يريدون جميعهم القدوم إلى أوروبا

في الدول الغنية، يسود الاعتقاد عامة أن جميع اللاجئين يتمنون الذهاب إلى أوروبا أو أمريكا الشمالية أو أستراليا. غير أن واقع اللاجئين بخصوص التنقل مختلف تماماً إذ أن 86% منهم تستضيفهم بلدان منخفضة ومتوسطة الدخل، كما أن تسعة بلدان من بين العشرة التي تضم أكبر عدد من اللاجئين هي من بلدان الجنوب.

صحيح أن عدداً كبيراً يتطلّع إلى الاستقرار في دولة غنية لكن الأغلبية تعترف بأن هذا المشروع غير واقعي. لذلك نجد أن أكثر من 95% من اللاجئين في أديس أبابا يرغبون في الاستقرار في بلد ثالث، على أن أكثر من النصف يدرك أن تحقيق هذا الأمل مُستبعد جداً في المستقبل القريب.

في كينيا، ورغم أن عدداً كبيراً من اللاجئين يُغَيّر مقرّ إقامته خلال نفس السنة، فإن القدر الأكبر من هذا التنقل يبقى داخلياً. أما بخصوص التنقل على الصعيد الدولي، فيتعلق أساساً بدولة أوغندا المجاورة، أو بالتنقلات

لقد بلغ عدد الأشخاص النازحين بسبب الصراعات والاضطهاد حدّاً غير مسبوق منذ الحرب العالمية الثانية. غير أنه بالنظر للوضع الحالي المُتسم بتسييس قضايا اللجوء والهجرة، سواء في البلدان الغنية أو الفقيرة، يجد اللاجئين صعوبة متزايدة في الحصول على حماية دولية. وقد يُعزى جزء من المشكلة إلى الإعلام المُضلل إذ تعتمد وسائل الإعلام والقادة السياسيون أحياناً إلى تشويه الصورة التي يتلقاها الجمهور عن اللاجئين في اعتبارهم عبئاً على المجتمعات المضيفة.

في كتابي «ثروة اللاجئين: كيف يمكن للأشخاص النازحين المساهمة في تطوير الاقتصادات»، اعتمدت على دراسة واسعة النطاق أُجريت في شرق إفريقيا، وشملت، بالخصوص، أكثر من 16.000 بين لاجئ وفرد من المجتمعات المحلية المضيفة داخل المخيمات والمدن في كلّ من أثيوبيا، وكينيا، وأوغندا. وقد سمحت المعطيات المُستقاة بدحض خمس أساطير متداولة على نحو واسع عن المهاجرين في إفريقيا وبيّنت أنه بإمكانهم المساهمة في تطوير بلدانهم المضيفة في صورة توفّر سياسات إدماجية شاملة.

مهاجرون أم لاجئون أم مشرّدون؟



▼ امرأة من توكانا (على اليسار) وصديقتها، وهي لاجئة من جنوب السودان، مقبلة بمخيم اللاجئين بكالويابي، جنوب غرب كينيا.

المهاجر - لا يوجد تعريف متفق عليه، قانوناً، لمصطلح «مهاجر». وفقاً لمنظمة الأمم المتحدة، يشير هذا المصطلح إلى «أي شخص أقام في بلد أجنبي لأكثر من سنة واحدة، بغض النظر عن الأسباب، سواء كانت طوعية أو كرهية، وبغض النظر عن الوسيلة المستخدمة للهجرة، سواء كانت نظامية أو غير نظامية». إلا أن الاستخدام الشائع لهذه الكلمة يتضمن أنواعاً معينة من المهاجرين قصيري الأجل، مثل عمال قصيرة العمل أثناء مواسم الزراعة أو الحصاد.

اللاجئ - تعرّف اتفاقية جنيف لعام 1951 «اللاجئ» على أنه «كل شخص يوجد خارج دولة جنسيته بسبب تخوف مبرر من التعرّض للاضطهاد لأسباب ترجع إلى عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه لعضوية فئة اجتماعية معينة أو آرائه السياسية، وأصبح بسبب ذلك التخوف يفتقر إلى القدرة على أن يستظلّ بحماية دولته أو لم تعد لديه الرغبة في ذلك».

المشرّدون - الأشخاص الذين أكرهوا على الفرار أو على ترك منازلهم أو أماكن إقامتهم المعتادة، إما بعبور الحدود الدولية، أو بالتنقل داخل بلادهم، أو اضطروا إلى ذلك، ولاسيما نتيجة أو سعياً لتفادي آثار النزاع المسلح، أو حالات العنف المعمّم، أو انتهاك حقوق الإنسان، أو الكوارث الطبيعية.

طالب اللجوء - هو الشخص الذي غادر بلده الأصلي ويرغب في الحصول على وضعية لاجئ.

لللاجئين بالشغل من شأنه أن يخلق توترات داخل المجتمع المضيف. ونتيجة لذلك، يجبر اللاجئين في دول مثل كينيا وتنزانيا على البقاء طيلة سنوات في مخيمات اللاجئين دون التمكن من الحصول على شغل. وهناك معطيات تُفيد أن لذلك تبعات سلبية على حقوق اللاجئين ورفاهيتهم، وربما أيضاً على البلدان المضيقة. وأوغندا هي إحدى الدول الأفريقية الوحيدة التي تسمح للاجئين بالشغل واختيار مقر إقامتهم. وهذه المقاربة تُوفّر مزايا ملحوظة إذ يحصل اللاجئين في أوغندا على دخل يفوق 16% دخل اللاجئين في دولة كينيا المجاورة. وتُشير بعض المعطيات إلى أن مثل هذه السياسات تعود بالفائدة على اللاجئين وعلى مواطني الدولة المضيقة على حد سواء. ففي كمبالا، عاصمة أوغندا، تملك حوالي 21% من أسر اللاجئين شركة تُشغل شخصاً واحداً على الأقل، و40% من الموظفين هم من مواطني الدولة المضيقة. وبالنسبة للعديد من الأوغنديين، يساهم اللاجئين في تنمية اقتصاد البلاد كمنتجين ومستهلكين وباعثي شركات.

الخلاصة: لا بد من تعزيز حق اللاجئين في العمل على نحو نشيط -بفضل إجراءات تحفيزية- أينما كانوا في العالم.

في جميع البلدان التي شملتها الدراسة، ثبت لدينا أن الاتصال المباشر يلعب دوراً هاماً، إذ كلما ارتفع مستوى التفاعل بين المجموعات، كان موقف أفراد المجتمعات المضيقة أكثر إيجابية، خاصة في المدن. ويرتبط موقف السكان تجاه اللاجئين ارتباطاً وثيقاً بالموقف الذي تتبناه عائلاتهم وجيرانهم، وهو ما يدلّ على أن النظرة إلى اللاجئين تتكوّن داخل المحيط القريب.

الخلاصة: بالإمكان تحقيق أقصى قدر من الفوائد الاقتصادية للمجتمع المضيف، وعلى السياسات في مجال اللاجئين مساندة الجماعات المحلية المضيقة وتعزيز العلاقة بين اللاجئين والمضيفين.

الحق في العمل

البلدان المضيقة لا تجني شيئاً من السماح للاجئين بالعمل

تمنح القوانين الدولية المتعلقة باللاجئين وبحقوق الإنسان حقوقاً اجتماعية واقتصادية للاجئين، بما في ذلك الحق في الشغل وحرية التنقل. لكن العديد من البلدان المضيقة للاجئين تحدّ من هذه الحقوق اعتقاداً منها بأن السماح

المصدر: كلمات مفاتيح في مجال الهجرة، المنظمة الدولية للهجرة، اليوتسكو



© UNHCR / Samuel Otiemo

▼ مومبي ساميل، مهاجر يبلغ من العمر 24 سنة، أصيل جمهورية الكونغو الديمقراطية، بصد صناعة أقنعة في مؤسسته الصغيرة بمخيم اللاجئين بكينيا.

المدن مقابل المخيمات

وضع اللاجئين في المدن دائماً أفضل من وضعهم في المخيمات

في جنوب الصحراء الأفريقية، تقيم الأغلبية الساحقة من اللاجئين الذين تمّ إحصائهم في المخيمات. وحسب المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فإن 16% فقط من اللاجئين في كينيا يعيشون في نيروبي، و6% من اللاجئين في أوغندا يعيشون في كمبالا، و4%

من اللاجئين في إثيوبيا يعيشون في أديس أبابا. هذا التوزيع بين الريف والمدينة يعكس قيود السلطات العامة، والاستعداد النسبي للمساعدة أو التشغيل، واختيارات اللاجئين.

غالبًا ما يكون المهاجرون المقيمون بالمدن أكبر سنًا ومن الذكور، في حين أنّ سكان المخيمات أصغر سنًا، عموماً، ومن الإناث. ويحدث أحياناً أن تفرق عائلات اللاجئين فينتقل إلى المدن من بإمكانهم العثور على عمل، ويبقى في المخيمات أولئك الذين يحتاجون إلى المساعدة أو المعالين.

وتُظهر الدراسة التي قمنا بها في شرق إفريقيا أنّ اللاجئين يكسبون عيشهم بشكل أفضل حينما يكونون في المدن، لكنهم ليسوا بالضرورة سعداء أكثر، أو في صحة أفضل، أو أنّ تغذيتهم أحسن من أولئك الذين يعيشون في المخيمات. ثانياً، فإن موقف المجتمعات المضيفة تجاه اللاجئين الذين يعيشون في بيئة ريفية يكون أكثر إيجابية. وأخيراً، تُوجد حركة تنقل بين المخيمات والمدن.

الخلاصة: ليس هناك فرق جوهري بين الإقامة في المناطق الحضرية أو في المناطق الريفية



جوائز نوبل الآتية من مكان آخر

منذ سنة 1969، تاريخ إنشاء جائزة الاقتصاد، توجّه أغلب الحاصلين على جوائز نوبل إلى معاهد في الولايات المتحدة. بيد أنّ العلماء المنخرطين في الأبحاث العالية الدقة غالبًا ما يكونون من المغتربين، إذ تشير مؤسسة نوبل، إلى أنّ 87 فائزًا بالجائزة من مجموع 281 من العاملين حصريًا في منشآت أمريكية هم أصيلو بلدان أجنبية.

هذا، وتُلاحظ نفس الظاهرة في أماكن أخرى. فمنذ سنة 1969، تُعدُّ المملكة المتحدة 15 من الحاصلين على الجائزة وُلدوا في الخارج من مجموع 45 يمثلون مراكز بحث. وتحتلّ سويسرا الصدارة في هذا المجال بثمانية متحصّلين على جائزة نوبل من أصل أجنبي مقابل سبعة فقط ولدوا في سويسرا. أمّا البلدان الوحيدان اللذان احتلت معاهدهما مكانة ضمن العشرة الأوائل، دون مساعدة العلماء المهاجرين، هما اليابان، بخمسة عشر فائزًا وطنيًا، والسويد، بثمانية فائزين.

إن النسبة المرتفعة للمهاجرين والمغتربين الحائزين على جائزة نوبل تعود إلى حد كبير إلى الإغراء العالمي لمعاهد البحث. فوفق ما ورد في إصدار 2021 لتقرير اليونسكو حول العلوم، فإنّ دول مجموعة العشرين تضمّ، بما يُكافئ الدوام الكامل، ما يقارب 89% من مجموع الباحثين في العالم.

ويضمّ الاتحاد الأوروبي أكبر عدد من الباحثين (23.5%)، تليه الصين (21.1%)، ثمّ الولايات المتحدة (16.2%). وفي بعض الحالات، شهد عدد الباحثين ارتفاعًا بنسق أسرع من نسق تطوّر نفقات البحث، وهو ما يُؤدّد صراعا من أجل تمويل المشاريع من شأنه أن يغدّي هجرة الأدمغة.



بالنسبة للعديد من الأوغنديين، يساعد اللاجئون في تطوير اقتصاد البلاد

تطوّرت مع مرور الزمن، بدعم من الرؤساء المتعاقبين.

الخلاصة: يجب على المنظمات الإنسانية الدولية أن تكون واعية بالسياق السياسي الذي تندرج ضمنه حماية اللاجئين. فالدفاع عن اللاجئين وحده ليس كافيًا بل يجب وضع استراتيجيات متنوّعة، وإجراءات تحفيزية من أجل تعزيز حقوق اللاجئين في مختلف البلدان. ■

اللاجئين يلعبان دورًا هامًا في رسم التصوّرات لحماية اللاجئين، ولكن علينا أيضًا أن ندرك أن المساعدة المقدمة للاجئين تندرج ضمن سياق سياسي معقد وغامض في كثير من الأحيان. فالجانب السياسي لحقوق اللاجئين يظهر جليًا عندما نتفحص بعُمق دوافع البلدان، وخاصّة تلك الأكثر تقدمية وسخاء في مجال استقبال اللاجئين. فسياسة الاكتفاء الذاتي في أوغندا، التي أشاد بها المجتمع الدولي على نطاق واسع، يجب على سبيل المثال، أن تُوضع في سياقها التاريخي والسياسي حتى يتم فهمها. فهي ليست ابتكارًا حديثًا بل هي مقارنة

بالنسبة للاجئين. فكلتا الخيارين يُمثّل خيارًا مفروضًا له مزاياه وعيوبه النسبية. وعلى السياسات في مجال اللاجئين أن تركز على تحسين الوصول إلى المناطق الحضرية والريفية على حد سواء.

السياسات

مساعدة اللاجئين تُمليها
الاعتبارات الإنسانية فقط

غالبًا ما يُنظر إلى الإحاطة باللاجئين على أنها عمل إنساني فقط. فالقانون الدولي والدفاع عن



نظراً لامتداد السواحل على حوالي 3.000 كم، ووجود أنظمة بيئية شديدة التأثر بالتغير المناخي، تُعتبر البيرو واحدة من البلدان التي تشهد ترابطاً وثيقاً بين الأحداث الطبيعية وتقل البشر.

في البيرو،

تزايد أعداد المهاجرين لأسباب مناخية

لورا بيرديخو

اليونسكو

تعتبر ظاهرة النينو/التذبذب الجنوبي (الإينو ENOA) العامل الأول للتغيرات الطبيعية للمناخ في البيرو. وهي ظاهرة تتميز بتعاقب مراحل احترار (النينيو El Niño) ومراحل انخفاض (لدرجة الحرارة النينا Niña) على سطح البحر في المحيط الهادئ، تتسبب في حدوث تغيرات في الغلاف الجوي قد تصل إلى تغيير عميق في المناخ، لا سيما في أنظمة التساقطات. وكان من تبعات آخر موجة نينو ساحلية الإلقاء، سنة 2017 بما

إنّ الكلمة المفتاح، هنا، هي «هوايكو» huayco، كما تقول ليليانا ماركيز، ضابطة الصورة بالتلفزيون في ليما، مضيقة: «ذلك هو الاسم الذي يُطلق على الفيضانات التي تتسبب فيها، كل صيف تقريباً، ظاهرة النينو El Niño، والتي أجبرتنا على التّعايش معها في بلاد يعود فيها تاريخ أول نزوح مُكثّف مرتبط بالمناخ إلى القرن الثامن عشر، عندما خرج النهر، الذي يسقي مدينة زانيا Zaña، عن مجراه، وأجبر المدينة كلها على الرّحيل».

بين سنتي 2008 و2019، اضطر حوالي 656.000 من بين سكان البلاد البالغ عددهم 33 مليون نسمة، إلى التنقل إثر حدوث كوارث طبيعية، حسب مركز رصد التنقلات الداخلية (IDMC). ويُتَوَقَّع أن تبلغ هذه التنقلات، بحلول سنة 2100، مستويات غير مسبوقة مع تصاعد حادّ لوتيرة التقلبات الطبيعية واشتدادها.



© Benjamin Morales Armao

يقرب من 300.000 شخص على الطرقات. غير أنه، علاوة عن ظاهرة النينيو، تتعرض كلُّ من الأنظمة البيئية الثلاثة في البلاد إلى مخاطر خصوصية يمكن أن تتسبب في موجات هجرة هائلة.

تزايد المخاطر الطبيعية

علاوة على تعرُّض سكان الكوستا، المنطقة الساحلية التي تأوي الجزء الأكبر من السكان وتُعتبر مركز اقتصاد البلاد، إلى تأثيرات الإينوا باعتبارهم في الخطِّ الأول، فهم عرضة أيضًا للجفاف المتكرَّر في فترات انحباس الأمطار، وبدرجة أقل، للارتفاع الشديد في درجات الحرارة وحرائق الغابات والرياح العاتية.

في سيريا، منطقة الهضاب المرتفعة، ترتبط معظم المخاطر المناخية بالمياه، إضافة إلى الحرارة المرتفعة وموجات الحرِّ في بعض المناطق، أو إلى الحرارة المنخفضة جدًا والتي تبلغ التجمد في أماكن أخرى مثل كوزكو. ومن أكبر المخاطر، التي يمكن أن يتسبب تسارعها في هجرة 28% من سكان المناطق المرتفعة، تراجع الأنهار الجليدية الذي يهدد أحد مصادر المياه الرئيسية في البلاد.

وأخيرًا، تشهد السيلفا، أو الغابة الاستوائية، تعدد الفيضانات الكبرى، أو، على العكس من ذلك، فترات جفاف شديد، وانهيار الضفاف،

والانجراف، وتراجع الغابات، والمخاطر الصحية الناجمة عن فرط الحرارة.

في بلاد تتجاوز فيها نسبة الفقر 20%، وتعمقت فيها التفاوتات الاجتماعية مع تفشي الجائحة، فإن هذه التهديدات تزيد من حدة الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية للسكان. حاليًا، فإن نصف المجال الترابي للبيرو مهدد بالكوارث المتكررة؛ وثلاث السكان يعيشون في مناطق معرضة للخطر، وأكثر من 9 ملايين شخص مُعرضون للأمطار الغزيرة والفيضانات المتكررة والانهيارات والانجرافات الأرضية؛ في حين يتهدد الجفاف حوالي 3.5 ملايين نسمة.

في أسوأ السيناريوهات، أي في حالة احترار الأرض بأكثر من 4 درجات مئوية بحلول سنة 2100، تخيم على بلد الأنديز ثلاثة تهديدات كبرى سوف تتسبب في تنقل عشرات الآلاف من الأشخاص، وفي التوتّر الحراري «الساخن» في منطقة الأمازون، والذوبان شبه الكامل للأنهار الجليدية في جبال الأنديز، وحدوث دورات نينيو أكثر حدة من ذي قبل قد تُعرض سكان السواحل إلى الخطر.

تنقّلات داخلية

تعتبر الهجرة في البيرو، سواء كانت دائمة أو مؤقتة وداخلية أو خارجية، من التقاليد

التاريخية. فسكان البيرو يهاجرون لتحسين ظروف عملهم، ووضعهم الاجتماعي أو التعليمي، وللهرب من الضغوط البيئية في الفترة الأخيرة. هذه التدفقات التاريخية خلقت شبكات قوية شجعت على الهجرة في اتجاه المدن والساحل وساعدت على حركة التحويلات المالية نحو المناطق الريفية في البيرو.

ويتسبب المناخ في الهجرة الداخلية بالخصوص، التي أصبحت ديناميكيته تعتمد حاليًا على معايير التمايز الاجتماعي سواء من حيث السن (الشبان هم أكثر المغادرين)، أو مستوى الدخل (الفقراء هم الأكثر عرضة للهجرة)، أو الجنس (تنقل الرجال يفوق بقليل تنقل النساء).

على السواحل، يتنقل الصيادون على طول الشريط الساحلي وفق توفر الموارد البحرية التي تحددها ظاهرة الإينوا. في حين يهاجر فلأحو بيورا (في الشمال) بشكل مؤقت أثناء فترات الجفاف بحثًا عن تنوع دخلهم. وفي الهضاب المرتفعة، أدى التغير المناخي إلى التسريع في أدفاق الهجرة التاريخية الواسعة حيث يهاجر الناس بسبب موجات البرد والجليد، ونقص المياه الناجم عن تراجع الأنهار الجليدية، والتغيرات الطارئة على نظام التساقطات. وفي مناطق سيلفا، يهاجر الفلاحون بالخصوص



▼ صور للجبل الجليدي ياناماراي من سلسلة جبال بلانكا البيضاء. نلاحظ التراجع الواضح فيما بين 1997 (على اليمين) و2004 (على اليسار).



صورة من وزارة الدفاع في البيرو CC BY 2.0

▶ إنقاذ ضحايا إعصار أل نينو بمنطقة بيورا، شمال غربي البلاد حيث أجبرت سيول الأمطار على تهجير حوالي 300 000 شخص من ديارهم، سنة 2017.

أقلت آخر موجة نينو ساحلية، سنة 2017، بما يقرب من 300.000 شخص على الطرقات

في هذا السياق، يكتسي دور وسائل الإعلام في التعامل مع التغيرات الناجمة عن التغير المناخي أهمية إضافية. تقول ليليانا ماركيز، معربة عن أسفها: «ما زال ضحايا هوايكو 2017 يعيشون في خيام في ليما بعد مضي ثلاث سنوات». أما بابلو إسكريبانو، أخصائي الهجرة وتغير المناخ في مكتب المنظمة الدولية للهجرة بالولايات المتحدة، فيلاحظ بدوره: «هناك اهتمام متزايد بالسرديات البشرية المرتبطة بالهجرة المناخية». ويضيف: «هذه السرديات هامة لأنها تُقرب المتلقي من الواقع الذي يعيشه ضحايا التغير المناخي والهجرة القسرية.»

ظاهرة عالمية

يندرج تزايد الهجرة بسبب المناخ في البيرو ضمن توجه عالمي كما هو الشأن في عدد من البلدان الأخرى التي بلغت مستويات عالية - مثل بنغلاديش، وفيجي، وغانا، وتنزانيا، على وجه الخصوص-. ففي أبريل المنقضي، نشرت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تقريراً

والأوضاع. وأنّ الذي يميّزها عن بعضها البعض هو طبيعة استجابة السلطات.»

ويضيف أن «أمريكا اللاتينية تعتبر رائدة في وضع سياسات في مجالات الهجرة والبيئة والتغير المناخي، ربما بنفس القدر ومنطقة المحيط الهادئ. ففي العديد من بلدان المنطقة، مثل البيرو أو غواتيمالا أو بليز أو تشيلي، تُبذل، حالياً، جهود لتحسين المقاربة السياسية للهجرة الناجمة عن التغير المناخي.»

ورغم بعض الثغرات القانونية، فقد اعتمدت البيرو منذ سنة 2000 العديد من الأطر المرجعية حول التغير المناخي، وتتوفر لديها، الآن، مجموعة واسعة من الأدوات القانونية والسياسية لتأطير الهجرة الناتجة عن المناخ.

ويؤكد بابلو إسكريبانو أنه، لئن ظلت معظم الهجرات المناخية داخلية، وتعود بالتالي إلى مسؤولية الدول، فهناك، أيضاً، مبادرات إقليمية جارية الآن.

ثم يُضيف موضحاً: «في أمريكا اللاتينية، يُعتبر المؤتمر الجنوب-أمريكي حول الهجرة المنظمة الإقليمية ذات المقاربة الأكثر تقدماً بخصوص الهجرة المناخية، وهي تقوم حالياً برسم خرائط السياسات المتعلقة بالهجرة والبيئة والتغير المناخي». وهي أداة ضرورية بالنظر إلى التأثير المستقبلي للأخطار الطبيعية على سكان القارة. ■

يبين أنه، خلال العشرية الماضية، أثارت الأحداث المتصلة بالمناخ تنقلات جديدة بمعدل 21.5 مليون حالة كل سنة، أي ضعف ما تسببه النزاعات وأعمال العنف.

وحسب بيانات مركز رصد التنقلات الداخلية، لسنة 2020، أجبر 30.7 مليون شخص، في العالم، على المغادرة بسبب الكوارث الطبيعية. وقد مثلت الظواهر المناخية 98% من أسباب التنقل المرتبطة بالكوارث.

تقول ألكسندرا بيلاك، مديرة مركز رصد التنقلات الداخلية: «يُظهر تقريرنا، أيضاً، أن معظم الأشخاص الذين ينتقلون يبقون داخل بلدانهم الأصلي»، معبرة عن خشيتها من أن تؤدي المخاطر «إلى احتداد التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية».

استجابة في طور التنظيم

يؤكد يوهان روكستروم، مدير معهد البحوث حول تأثير التغير المناخي في بوتسدام، أن «نموذج البيرو يبين أن تأثيرات التغير المناخي وتدهور النظم البيئية يزيدان من مخاطر تنقل البشر وهجرتهم».

ويلاحظ بابلو إسكريبانو أنه «بالنظر إلى أنّ البيرو لديها أنظمة بيئية (سييرا، كوستا، سيلفا) مشتركة مع البلدان المجاورة، فإن هذه البلدان يمكن أن تتقاسم معها عددا من الحقائق

في كندا،

مركز لمعالجة أمراض المنفى

بعد أن ظلّت المعاناة النفسية للمهاجرين واللاجئين موضع تجاهل لفترة طويلة، أصبحت اليوم محل اعتراف أفضل كما هو الشأن بالنسبة لخدمات المساعدة النفسية المتخصصة صلب مستشفى جيفري هيل في كيبك، التي تتعامل مع الأعراض التي يعاني منها المرضى استناداً إلى ثقافتهم الأصلية.

غاي سابوران،

صحفي مستقل. مونتريال

تحين أمراض كامنة سابقة أو تفاقمها في حالة توفر أرضية هشة أو ضعيفة منذ البداية».

فك شفرة المعاناة

أما فيما يتعلق بطالبي اللجوء واللاجئين الذين عاشوا قطائع وتمزقات، فإنّ التجاوز يكون أصعب إذ هم معرضون إلى اضطرابات الاكتئاب والقلق، وإلى النزاعات الأسرية، والتوترات النفسية التي تلي الصدمات والتي يزيد المنفى من حدتها، وغالباً ما تأخذ مظهر اضطرابات جسدية تؤثر على الرأس أو الجهاز الهضمي أو العمود الفقري. ويوضح جان - برنارد بوكرو أنه «حتى إن لم تتجلّ هذه المعاناة عضوياً فهي تظلّ حقيقية لأنّ قراءة العديد من المهاجرين، المنتمين إلى ثقافات تقليدية، للمصاعب التي يمرّون بها تختلف كثيراً عن قراءتنا نحن. لذلك وجب قبل كلّ شيء فك شفرتها». وهذه الأمراض المختلفة تؤثر في المقام الأول على الثقة بالنفس، وعلى الرابطة الاجتماعية، والنظرة إلى المستقبل. كما يعاني المهاجرون واللاجئون، بدرجات متفاوتة، من أعمال عنف مؤسسية واعتداءات متكررة قد تحدث في البلدان المضيقة مثلما تشهد على ذلك حالة تلك المرأة التي نجت من النزاع العرقي الرواندي بعد أن فقدت أسرتها وعدداً من أطفالها، ونجحت رغم كل شيء في بناء حياة جديدة في كيبك. وذات مساء، تعرضت إلى اعتداء وهي خارجة من مقر عملها. يقول جان - برنارد بوكرو أن «هذا الاعتداء أيقظ جميع ما تعرّضت له من صدمات سابقة.

فانهار كلّ ما استعادته من حيوية، وتغلّبت اللاعقلانية على مشاعرها، وأصبحت تشعر أنّها ما زالت في خطر، أينما حلّت».

إسهام الطب النفسي الإثني أو العرقي

تقول الأخصائية النفسية لوسيل مارتينيز بورخيس، الأستاذة بمدرسة العمل الاجتماعي والدراسات الجنائية في جامعة لافال والعضو المؤسس المشارك لخدمات المساعدة النفسية المتخصصة للمهاجرين واللاجئين، أنه «في بداية القرن العشرين، تولّد لدى المهاجرين واللاجئين شعور بأنهم لا يحظون بالفهم عندما يتوجّهون إلى الشبكة الصحية أثناء فترات التأمّن النفسي. لذا تفاعلنا مع هذا الواقع وأنشأنا قسماً لتقديم الخدمات لهؤلاء الأشخاص».

وتقدّم خدمات المساعدة النفسية المتخصصة للمهاجرين واللاجئين في المحلّات المجاورة للخدمات الصحية الخاصة باللاجئين التابعة، بدورها، إلى مستشفى جيفري هيل في كيبك. وتقول لوسيل مارتينيز بورخيس إنه «بالنسبة إلى الحالات المعقّدة، فإن المجموعة الكبيرة هي التي تستجيب على نحو أفضل». وتعني بالمجموعة الكبيرة الطّرف المتدخل الذي يتابع المريض والمكوّن من أخصائي نفسي رئيسي، ومعالج مشارك، وعامل اجتماعي، وممرض، ومترجم وسيط ثقافي. وتضيف بورخيس: «إن الأشخاص الذين نلتقي بهم غالباً ما يأتون من أوساط جماعية أو من مجتمعات محلية،

غادر حسان تراوري (وقع تغيير الاسم) مؤخراً غرب أفريقيا. وهو الآن لاجئ في كيبك، بعد أن واجه مذابح وأعمال عنف ارتكبتها جماعات جهادية. في المساء، ينزوي مع أسرته ويحصّن نوافذ منزله، فهو ما زال يشعر بأنه ملاحق.

يقول الأخصائي النفسي الذي تولى معالجته، جان - برنارد بوكرو، الأستاذ المساعد في جامعة لافال والمؤسس المشارك لخدمات المساعدة النفسية المتخصصة في مساعدة المهاجرين واللاجئين SAPSIR: «إنه هنا، ولكن ذهنه دائماً هناك، شأنه شأن الكثيرين مثله»، ويضيف: «إنّ الأشياء التي لها معنى معيّن في بلده لم تعد كذلك هنا. وهو يمرّ مشاعر القلق التي تنتابه إلى أسرته».

وعموماً، لا يعاني المهاجرون أكثر مما يعانیه عامة السكان من مشكلات الصحة العقلية (وفقاً لمنظمة الصحة العالمية، يصاب شخص واحد مرّة في حياته على الأقلّ على كل أربعة أشخاص). غير أن تجربتهم الحياتية الخاصة قبل الهجرة وفي البلد المضيف قد تزيد من ضائقتهم النفسية.

وبالنسبة للمهاجرين، الذين بمقدورهم العودة إلى بلادهم الأصلية، فقد تنتابهم مشاعر الكآبة عندما يصفون نظرة مثالية على الحياة التي تركوها وراءهم. يوضح جان - برنارد بوكرو أن «مشاعر الحزن هذه قد تؤدي إلى

على تصوّر مستقبل له إلى يوم أن انخرط في حركة محلية لإنقاذ نهر في كيبك.

يقول جان - برنارد بوكرو أن هذا الشخص «وجد نفسه في وسط مشابه، وفي مجال يعرفه وله معنى بالنسبة إليه. وهو ما يسمح للشخص أن يعيش متمسكاً ويواصل العيش في ظلّ الحفاظ على كيانه».

وتضرب لوسيل مارتينيز بورخيس مثلاً على ذلك قائلة: «إنّ الأمر أشبه بما نراه في الإعلانات الخاصة عن مظهر الشخص قبل العمليات الجراحية التجميلية وبعدها، فمن الناحية الجسدية، تنتقل من شخص بائس ومنحن، وباهت الوجه إلى شخص أكثر ثقة بالنفس، تعلو وجهه الابتسامة؛ وقد استعاد ثقته في المستقبل. ونحن، لو لم نشاهد مثل هذه النتائج أثناء العلاج، فلا أعتقد أنه كان بمقدورنا مواصلة العمل».

ثمّ تضيف: «في بعض الأحيان، نفقد الاتصال بأشخاص يتسمون بعدوانية ليست في طبيعتهم، يغمرهم الحزن أو الاكتئاب، فيفقدون الثقة في الآخر وليس بمقدورهم ربط الصلة».

وتواصل: «إن منظومتنا تستجيب إلى طلب حقيقي، وأغلب الذين نستقبلهم يستعيدون المعنى لحياتهم. أما ما يثير قلقي فهم أولئك الذين لا يمكنهم الوصول إلينا، ولا سيما الأطفال الذين يعانون الكثير منهم من الصدمات النفسية. ذلك ما يقطّ مضجعي في الوقت الراهن». ومن المقرر أن تضع خدمات المساعدة النفسية المتخصصة للمهاجرين واللاجئين نصب أعينها المكوّن الطفولي في خريف عام 2021. ■

إلى الطب النفسي العرقي الذي يعطي مكانة محورية للبعد الثقافي الكامن والذي يتجلى من خلال الأعراض النفسية.

تجتمع وحدة خدمات المساعدة النفسية المتخصصة للمهاجرين واللاجئين بالشخص بين 15 و17 مرة، وتشرف على المتدخل الذي سيتولى زمام الأمور. هكذا أصبحت هذه المقاربة تنتهج في جميع أنحاء البلاد.

يقول جان - برنارد بوكرو، معلناً عن ارتياحه: «إنني أعمل في هذا المجال منذ ربع قرن ويمكن أن أقول إننا نشهد تطوراً لدى المتدخلين» ثمّ يضيف أنّ بعض المتدخلين في كيبك يستلهمون، حالياً، من الطب النفسي العرقي والمقاربة السريرية المشتركة بين الثقافات لعلاج المعاناة النفسية للمهاجرين.

استعادة الثقة في المستقبل

يحتاج المهاجرون واللاجئون إلى الأمن الجسدي والنفسي وأن يشعروا أن بمقدورهم إنجاز مشاريع. كما يتعين عليهم إيجاد أجوبة عن السؤال التالي: كيف يظل المرء هو ذاته بعد كلّ ما عاناه وحيثما ذهب؟ إن الأمر يتطلب بعض الوقت مع توفير شبكة واقية لهم، ومحيط مطمئن، وأن يشعروا أنّهم في مكان آمن. ومن أمثلة ذلك المهندس الزراعي الأمريكي الجنوبي، الذي كان محبوساً لدى الميليشيات بعد انخراطه تماماً في المجتمعات المحلية الريفية. وكان مختطفوه قد حبسوه في كيس وألقوا به في الماء وأطلقوا النار عليه. لكنه نجح بأعجوبة ووصل إلى كيبك في حالة من الكآبة الشديدة، لا يقوى

ولهذا السبب فهم يستجيبون على نحو أفضل لتدخلات تقوم بها مجموعة». وتبعاً للحالات، هناك أيضاً متابعات من خلال مجموعات صغيرة (متدخلان أو ثلاثة)، ونادراً ما تكون هناك متابعات فردية.

يقول جان - برنارد بوكرو «خلال هذه اللقاءات، يتعين علينا أن نستند، فعلياً، إلى ثقافة



منذ منعطف الألفية الثانية، ساد شعور لدى المهاجرين واللاجئين بأنّ الشبكة الصحية تسيء فهمهم

الشخص، وإلى العناصر التي أسهمت في تكوينه ولها معنى بالنسبة إليه. يجب النفاذ إلى عالم الشخص المعني، تدريجياً، ثم نسج فهم وبنائوه بالاشتراك معه لتمكينه من الانخراط فيه. ولهذا الموافقة أهمية قصوى في تقبل الشخص العلاج واعتباره مفيداً له». وتتنمي هذه المقاربة

التحالف الدولي للمدن المستدامة الشاملة للجميع، شبكة مدن مضيئة

لم يكن لدى سالي، وعلي، وناريمان، سوى أسبوعين للإقناع. فقد أختير هؤلاء الشبان الألمان الثلاثة ليكونوا على رأس حملة «معا من أجل الإنسانية»، الرامية إلى مكافحة الصور النمطية التي تلاحق المهاجرين. وقد نظمت فيما بين 26 نوفمبر و7 ديسمبر 2019، من خلال حوالي ألف ملصقة ضمن حملة واسعة النطاق على الشبكات الاجتماعية، تروي قصص الاندماج الناجح لسالي، طالبة الطب، وعلي، رجل المطافئ والرياضي، وناريمان، الضابطة البحرية للتعريف بها لدى سكان برلين، وشوتوغارت، وليبيزغ.

وتعدّ هذه الحملة مثالا من بين أمثلة أخرى عن أنشطة التحالف الدولي للمدن المستدامة الشاملة للجميع (ICCAR) الذي أطلقته اليونيسكو في عام 2004، بهدف إبراز إسهامات المهاجرين واللاجئين في تنمية المجتمعات المضيفة.

فالتحالف الدولي يساهم، من خلال شبكته التي تضم أكثر من 500 مدينة من جميع أنحاء العالم، في رسم السياسات، وتعزيز القدرات، والقيام بأنشطة توعوية وتحسيسية، من أجل التشجيع على تنمية حضرية إدماجية وشاملة للجميع، وخالية من جميع أشكال التمييز.

▼ بورتريه ذاتي لرجل أعدم رميا بالرصاص
Self-Portrait as Shot to Death, ساحة سان
فيليب نيري، برشلونة (1979)، للمصوّر الفوتوغرافي
والفنان المفاهيمي والناشط الأرجنتيني،
مارسيلو برودسكي، الذي أعاد إنتاج الحالة التفسرية
للمنفي من خلال صورته، أثناء منفاه بإسبانيا فيما بين
1974 و1984.



أصبحت الهواتف الجوالة عنصراً أساسياً في بقاء المهاجرين واللّاجئين على قيد الحياة بفضل المحافظة على اتصالاتهم بأسرهم، والتماس مساعدة مالية في حالة مواجهتهم صعوبات ما، والحصول على معلومات أساسية تخوّل لهم مواصلة رحلتهم. يشير استبيان ميداني أجري في مدينة فاس بالمغرب إلى الأهمية الحاسمة للتكنولوجيات الجوّالة في جميع مراحل رحلات المهاجرين واللّاجئين.

الهاتف الجوّال،

البوصلة التي لا غنى عنها للمهاجرين

موحى الناجي

رئيس المعهد الدولي للغات والثقافات (INLAC)، وأستاذ بجامعة سيدي محمد بن عبد الله في فاس، المغرب.

المتاحة لهم عبر الإنترنت وشبكات تكنولوجيا الهاتف الجوّال.

ولم نتفاجأ من اكتشاف أنّ الأجهزة التكنولوجية تُيسّر تبادل المعلومات منذ مرحلة ما قبل انطلاق الرحلة، سواء من حيث دوافع الهجرة، أو اختيار الوجهات والمسارات على وجه الخصوص، ثم أثناء الرحلة ذاتها. كما أنّ هذه الأجهزة تُسهّل التعاون بين المهاجرين والدعم المتبادل. أما الأشخاص الذين هم في وضع غير قانوني، فيعتمدون بقدر أكبر على مصادر المعلومات غير الرسمية، ولاسيما تلك الصادرة عن المهريين.

ويتمتع المهريون بميزة معرفة الطّرق والمعابر الحدودية وإجراءات الحصول على التأشيرات. وقد ذكر الذين قابلناهم من المهاجرين أنّهم استفادوا من معلومات دقيقة من المهريين الذين يستخدمون أيضاً الشبكات الاجتماعية لتزويد المهاجرين بالمساعدة أثناء الرحلة.

ومن أمثلة ذلك أنّ ريجيس، الشاب الكامبيوني البالغ من العمر 23 سنة، اتّبع

ومهاجرين بدون أوراق رسمية من سوريا، وليبيا، وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. لقد ظلّ المغرب، لفترة طويلة، أرضاً للهجرة قبل أن يتحوّل، منذ منتصف القرن العشرين، مكاناً للعبور واستقبال عدد كبير من المهاجرين القادمين من أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى (الكونغو، الكوت ديفوار، مالي، نيجيريا، والسنغال على وجه الخصوص)، والذين يرغبون في الوصول إلى أوروبا، سواء عن طريق الجيوب الإسبانية «سبّنة» و«مليبية» أو عبر جزر الكناري قبل عبور البحر الأبيض المتوسط أو المحيط الأطلسي. ولئن كان هؤلاء المهاجرون يعتبرون، عموماً، أنّ إقامتهم في المغرب مجرد مرحلة مؤقتة، فإنّ الأمر ينتهي بالعديد منهم إلى البقاء شهوراً بل سنوات، أحياناً، في ظروف صعبة.

التعاون والدعم المتبادل

كانت مستويات الكفاءة لدى الأشخاص المستجوبين متفاوتة، مما يؤثر على «درايتهم الرقمية»، أي قدرتهم على الاستفادة من الفرص

«كان عليّ، في بعض الأحيان، أن أختار بين الأكل والنّفاذ إلى الإنترنت، حتى أظّل على اتصال بأسرتي في بلدي. وعندما أحتاج إلى المال، أجري معها مكالمة عبر «واتساب»، فترسله إليّ فوراً». هذه الكلمات التي قالها مامادو، الشاب النيجيري البالغ من العمر 22 سنة، تُلخّص لوحدها الدور الحيوي للهواتف الجوّالة في حياة المهاجرين. ولعلّ الدليل الحاسم على هذه الأهمية هو أنّ إنفاق اللّاجئين على الاتصال بشبكة الإنترنت قد يصل إلى ثلث ميزانيتهم، وفقاً لمكتب الأمم المتحدة لشؤون اللّاجئين (HCR) في الرّباط.

فعندما يغادر المهاجرون بلدانهم الأصلية، يصبحون مُعتمدين بالكامل على هواتفهم الجوّالة. والواقع أنّ الهواتف الذكية واللّوحات الإلكترونية لها تأثير كبير على تجاربهم في كلّ من مراحل رحلتهم. ويتبيّن ذلك على ضوء الاستبيان الميداني المنجز بين عامي 2017 و2019 في مدينة فاس، بالاشتراك مع فيليبو بيجنامي، الباحث في جامعة العلوم والفنون التطبيقية بجنوب سويسرا، والذي شمل لّاجئين



© Maxime Reynié

▼ حقيبة وكَنَش وهاتف، هي كل ما حمله معه سعيد، 25 سنة، عند هروبه من السودان إلى فرنسا. صورة مأخوذة من مجموعة «محتوى كيس المهاجرين» للفوتوغرافي الميداني الفرنسي، ماكسيم رايني.

الرغم من الجهود المبذولة، يتعرّضون كغيرهم إلى السرقة أو الاعتداءات أو الإجراءات الأمنية التي تصدّهم عن عبور الحدود وتجبرهم، في أغلب الحالات، على البقاء في بلد العبور. كما يمكن للتكنولوجيات الجديدة أن تكون ناقلة لمعلومات زائفة وشائعات قد تؤثر في اختيارات المرشحين للهجرة. مثال ذلك أن إبراهيم، الشاب الإفريقي البالغ من العمر 23 سنة، اتخذ قراراً بمغادرة بلده بعد أن قرأ على شبكة الإنترنت أنه بمجرد وصوله إلى المغرب، يتم إرساله إلى بلد أوروبي باعتباره طالب لجوء مازال يزاوّل تعليمه. وعندما أدرك أن الأمر ليس كذلك، خاطر بحياته كل ليلة، محاولاً، في كلّ مرّة، ركوب شاحنات متجهة إلى إسبانيا. ومثل هذه الروايات شائعة بين المهاجرين غير الشرعيين. أما أولئك الذين وصلوا إلى وجهتهم المنشودة، فهم يساهمون، عبر تطبيقات الإرساليات والشبكات الاجتماعية، في التأثير على قرار المرشحين للهجرة، من خلال تبادل المعلومات والصور عن حياتهم الجديدة. ■

تكنولوجيا الهاتف الجوّال. يقول يايا، الشاب الغيني ذو الاثنتين والعشرين سنة: «بدون هاتفي الذكي، وبدون الشبكات الاجتماعية، كنت سأشعر بأنني معرّض لمزيد الإقصاء والعزلة. فأنا أستخدمه لطلب المساعدة من أصدقائي ولكي أبقى على صلة بأسرتي».

غير أن التكنولوجيات الجديدة لا تحمي من جميع المخاطر المرتبطة بالهجرة غير الشرعية. فقد أظهر بحثنا أن المهاجرين المزوّدين بمعلومات جيدة لا ينجحون، بالضرورة، أكثر من غيرهم في بلوغ الوجهة المنشودة، إذ على

التعليمات التي نقلها إليه مُهرّبه عبر رسائل الهاتف الجوّال انطلاقا من بلده الأصلي وصولاً إلى مدينة فاس. بيد أن بعض المهاجرين يرفضون الاعتماد على خدمات المهربين ويواصلون رحلتهم باستخدام تطبيقات الملاحه من قبيل نظام تحديد المواقع جي. بي. أس أو خرائط غوغل.

الصّلة بالعائلة

فيما يخصّ الأشخاص الذين ألقوا بهم المقادير على طرق الهجرة غير المضمونة والمحفوفة بالمخاطر، يُعدّ الهاتف، وربما قبل كل شيء، بمثابة الصّلة المطمئنة بالأقارب الذين بقوا في الوطن حيث يظنّ هؤلاء على اطلاع بالظروف المحيطة برحلات المهاجرين عبر الرّسائل والصور المتبادلة بواسطة تطبيقات واتساب أو ماسنجر أو فيسبوك.

هذا الدّعم المعنوي الذي تقدّمه الأسر يكون مصحوباً في كثير من الأحيان بمساعدة مالية غالباً ما تلعب دوراً حاسماً في مواصلة الرحلة. وعادة ما تُحوّل هذه الأموال مباشرة عن طريق

»
**قد يصل إنفاق
 اللاجئين على
 الاتصال بشبكة
 الإنترنت ثلث
 ميزانيتهم**

فينيرا توكتوروا، مسار

مهاجرة قيرغيزية

عند وصولها إلى موسكو منذ 13 سنة خلت، عرفت فينيرا توكتوروا، في البداية، نفس مصير المهاجرين القيرغيزيين من مراكمة للوظائف الشاقة منخفضة الأجر. وهي اليوم صاحبة مطعمين إلى جانب بعثها لسينما «ماناس»، القاعة القيرغيزية الوحيدة في المدينة.

نازيجول جوسوبوفا

صحفية قيرغيزية مقيمة في موسكو (اتحاد روسيا)

أملك شقتي الخاصة في موسكو ولدي تلفزيون بشاشة كبيرة. وهو دليل على أن الأحلام يمكن أن تتحققا.

مع مرّ السنين، ما فتئ أفق العودة إلى الوطن يبتعد. فالرغبة في ضمان حصول ابنتها على تعليم جيد، والحرص على نجاحها الشخصي جعلها تؤجّل هذه العودة باستمرار. إذ تضيف: «غادرتُ موسكو أكثر من مرّة وأنا مقرّنة العزم على عدم العودة إليها، لكنني كنت أعود في كل مرّة».

والحقيقة إنها قطعت شوطاً طويلاً منذ قدومها إلى موسكو، فقد أصبحت الآن صاحبة أعمال بالكامل إذ تملك، بالشراكة، مطعمين. ورغم استقرارها بالعاصمة الروسية، فهي لم تقطع الصلة مع بلادها الأصلية.

ومنذ ثلاث سنوات، فتحت مع العديد من الشركاء قاعة السينما القيرغيزية الوحيدة في موسكو. غير أن قلة التجربة والأخطاء في التصرف الإداري سرعان ما أجهضا هذه المبادرة. بيد أنّ تلك الأشهر القليلة من حياة سينما «ماناس»، وهو اسم للمحنة قيرغيزية شهيرة، كانت كافية لخلق الحاجة لدى مواطنيها الذين قاموا بحملة نشيطة لإعادة فتحها.

وها أن «ماناس» تُصبح اليوم واحداً من الأماكن الثقافية القيرغيزية الرئيسية في المدينة، حيث يأتيها

عند وصولها إلى موسكو، عرفت المسار التقليدي للمهاجرين القادمين من هذا البلد الواقع في آسيا الوسطى. فهي تتذكّر كيف كانت تسكن قبوا مع ابنتها: «في تلك الفترة، كان [القيرغيزيون] يُشغّلون عادة كعمال نظافة ويعيشون في الأقبية». في البداية، اشتغلت بوزارة في عمارة فخمة، ثم راكمت وظائف عاملة لتنظيف لتمويل تعليم ابنتها، واختارت أن ترفض وظائف ذات أجور أعلى حتى لا تضطرّ إلى إيداع طفلتها لدى مربية للعناية بها. تقول فينيرا: «كان من المهم بالنسبة لي أن أراها تكبر أمامي».

قوة الأحلام

بفضل المداومة على العمل الشاق، تمكّنت في سنة واحدة من توفير ما يكفي من المال لشراء شقة صغيرة في أوش، مسقط رأسها. «كنت أستيقظ عند الفجر لترتيب بيت مُشغلي الأول، ثم أصطحب ابنتي إلى المدرسة وأعود إلى العمل قبل أن أذهب من جديد لجلبها من المدرسة. وعندما تنام، أذهب لتنظيف الأرضية لدى مُشغّل آخر. كنت مثل الهامستر داخل قفصه الدائري».

إلى جانب تحمّلها المشاق، كانت فينيرا حاملة لحلم بحياة أكثر رفاهة تكون فيه مالكة لمكان خاص بها. وهي لم تتزوّج ثانية وتقول: «اليوم

وسط مقهى صاحب شرقي موسكو، تغمره موسيقى شرقية ويعرف بسليمان-تو، تراقب امرأة، بكثير من الحزم، تحركات النوال انطلاقاً من الجزء الخلفي من القاعة، وعينها على هاتفها الجوال. إنّها فينيرا توكتوروا، صاحبة المكان، تنتصب في فستانها الفاتح اللون وشعرها المشدود برصانة، وقد بلغت الأربعين من العمر.

منذ 13 سنة خلت، غادرت، إثر طلاقها، بلدة أوش الصغيرة في قيرغيزستان، لتستقرّ في العاصمة الروسية مع ابنتها البالغة من العمر ثلاث سنوات. كانت تفتقد إلى أدنى مورد وليس لديها مكان تذهب إليه، لكن لا شيء يُحبط عزميتها، وهي التي باعت، عندما كانت صغيرة، العلك والسجائر في البازار المحلي بعد انتهاء حصّة الدرس لمساعدة أسرته.

كان بإمكانها أن تصبح مُدرّسة في بلادها بعد حصولها على شهادة في الاقتصاد، لكنّها تقول: «أتصوّر إلى أيّ حدّ كانت الحياة ستكون صعبة براتب يكاد يغطي النفقات الأساسية». فمتوسط الراتب في قيرغيزستان يبلغ حوالي 200 دولار شهرياً، وهو الأدنى بين دول المنطقة. وكانت روسيا تعدّ، في سنة 2019، مليون مهاجر قدموا من قيرغيزستان.

مواطنو هذه الدولة الواقعة في آسيا الوسطى بحثًا عن الترفيه، واستجابة لنداء الحنين إلى الوطن. وكثيرون هم من يعترفون لفينيرا بأنهم يستمتعون بمشاهدة الأفلام القرغيزية في المهجر أكثر مما لو شاهدوها في ديارهم. وعند مغادرتهم، يشكرونها

»

في موسكو، تحملت قساوة الشغل، لكنني كنت أشعر بالانسراح في حياتي الجديدة

دائمًا على إتاحة الفرصة لهم لمشاهدة أفلام تنطق بلغتهم وتثير فيهم ذكرى الأماكن التي عرفوها أيام طفولتهم.

نهضة السينما القرغيزية

منذ بضع سنوات، اكتسبت السينما القرغيزية حيوية جديدة. وقد بلغ الفن السابع المحلي أوجَه في السبعينيات التي تُعدُّ فترة «المعجزة القرغيزية». فقد أخرج سينمائيون أعمال الكاتب تشينجيز آيتاتوف إلى الشاشة الكبيرة. لكن الإنتاج السينمائي حُرِم من الدعم بعد استقلال قيرغيزستان وعرف ركودًا. واليوم، ظهر جيل جديد من السينمائيين ونقل إلى الشاشة مشاريع تجارية عرفت طريقها إلى الجمهور، ومكنت الأفلام القرغيزية من نحت مكانتها إلى جانب الإنتاجات الأجنبية.

في عام 2018، بمناسبة الذكرى التسعين لميلاد تشينجيز آيتاتوف، أهدت سفارة قيرغيزستان في

روسيا إلى قاعة السينما مجموعة من الأفلام المقتبسة من أعمال هذا الكاتب. هكذا تمكّنت «ماناس»، طيلة سنة كاملة، من برمجة أفلام قيرغيزية من «العصر الذهبي» مجانًا. تقول فينيرا بكثير من الابتهاج: «لقد كانت هدية رائعة!»، مُعترفة بأنّها اكتشفت، على نحو متأخر، ثراء السينما القرغيزية.

بعد 13 سنة من مغادرتها بلدها، تفكّر فينيرا في إمكانية البقاء في موسكو لبضع سنوات أخرى. «هنا، كان عليّ أن أتحمّل قساوة الشغل وأن أتغلب على الصعوبات، لكنني كنت أشعر بالانسراح في حياتي الجديدة. لقد تعلمت التفكير بشكل مختلف وأصبحت أقوى». ومع ذلك، فإنها لم تتخلّ أبدًا عن الأمل في العودة يومًا ما للعيش في بلادها الأصلية. «مهما كان مستوى تعليمنا ومدى نجاحنا، فنحن المهاجرون يبقى لدينا دائمًا شعور خاص بأننا قادمون من مكان آخر». ■



تُعدّ الصين، بعد الهند والمكسيك، البلد الأصلي لأكثر عدد من المهاجرين الدوليين. ويعود تاريخ الهجرة الصينية، التي تميّزت بموجات متتالية، إلى فتح طريق الحرير البحري.

التاريخ الطويل للصينيين المقيمين وراء البحار

زهوانغ غوتو

مدير الدراسات بجامعة هواشياو وأستاذ بجامعة شيامن، بجنوب شرقي الصين. تتناول بحوثه التاريخ العرقي للصين والعلاقات الدولية الصينية. وهو أيضاً عضو في اللجنة الاستشارية لكتب شؤون صينيّ ما وراء البحار.

إحدى ميزات الصينيين إيلأؤهم أهمية كبرى لتعليم الأجيال المقبلة

أما الموجة الثالثة من المهاجرين الصينيين الجدد فقد بدأت في الثمانينات بصفتها جزءاً لا يتجزأ من موجة الهجرة العالمية. وهؤلاء المهاجرون هم أصيلو مناطق ثلاث - الصين القارية، وهي المورد الرئيسي للهجرة، وتايوان وهونغ كونغ - ويلتحق معظمهم بالبلدان الصناعية. وتُسجّل الولايات المتحدة أعلى نموّ لأعدادهم.

بيد أن النمو الاقتصادي السريع للصين، وتطور علاقاتها التجارية الخارجية، جعل المهاجرين يتوجّهون اليوم بكثافة إلى البلدان النامية إذ سجّل عدد المهاجرين الصينيين إلى آسيا الوسطى وآسيا الغربية، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، ارتفاعاً كبيراً.

مدّ السكك الحديدية واستغلال المناجم

ليس هناك من نشاط لم يُقدّم فيه المهاجرون الصينيون مساهمتهم الكبيرة لفائدة مجتمعاتهم الجديدة سواء كان ذلك في البلدان

تداعيات حروب الأفيون

منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى بداية سنوات 1940، شهدت الصين موجة ثانية من الهجرة قوامها الأساسي العمال الصينيون أو «العملة الصينيون المتعاقدون». فخلال حرب الأفيون الأولى والثانية، في القرن التاسع عشر، أجبرت كلّ من المملكة المتحدة وفرنسا حكومة تشينغ على السّماح بالترحيل المُكثّف لليد العاملة الصينية إلى الدول الغربية ومستعمراتها لتحلّ محلّ العبيد السّود. فكانت بداية انتشار الصينيين فيما وراء البحار عبر العالم، انطلاقاً من جنوب شرقي آسيا نحو أمريكا، وأفريقيا، وأوروبا، وأستراليا.

بعد الحرب العالمية الأولى، وقبل اندلاع الثانية في المحيط الهادئ، ارتفعت أعداد المهاجرين الصينيين بحكم الازدهار الاقتصادي لجنوب شرقي آسيا ومزيد الطلب على اليد العاملة، حيث بلغ عدد الصينيين المغتربين، في بداية أربعينيات القرن العشرين، ما يقارب 8.5 مليون مغترب في العالم، استقرّ أكثر من 90% منهم في جنوب شرقي آسيا. وفيما بين 1949 وأواخر السبعينيات، وضعت جمهورية الصين الشعبية حدّاً لحركات الهجرة على نطاق واسع، وتوقّفت بذلك موجة الهجرة المتدفّقة منذ أكثر من ثلاثة قرون.

يُعدّ الصينيون المهاجرون اليوم والذين يعيشون في الخارج، حسب المنظمة الدولية للمهاجرين، 10 ملايين مهاجر، وقد يصل العدد إلى 60 مليون إذا ما احتسبنا نسلهم.

هذا الرقم يُعتبر من الأرقام الأرفع في العالم. صحيح أن تاريخ الهجرة الصينية يعود إلى زمن قديم، إذ بدأ مع افتتاح طريق الحرير البحري، وقد تركّزت، آنذاك، في جنوب شرقي آسيا. ففي بداية القرن الخامس عشر، أنشئت عديد الأحياء الصينية حيث يضمّ كل واحد منها عدة آلاف من المهاجرين في كلّ من سومطرة وجاوا في إندونيسيا الحالية. وسوف يتكثّف عدد المغتربين في القرن السادس عشر. في الأثناء، استقرّ الأوروبيون في الشرق الأقصى بهدف إدماجه في شبكة التجارة العالمية، وقد تطلّبت المنافسة فيما بينهم من أجل تطوير مستعمرات جنوب شرقي آسيا استقدام تجار وعمال صينيين.

في بداية القرن السابع عشر، بلغ عدد الصينيين حوالي 100.000 نسمة في جنوب شرقي آسيا، وما بين 20.000 و30.000 في اليابان، حيث كانوا يشتغلون بالخصوص في التجارة والصناعات التقليدية. وفي منتصف القرن التاسع عشر، أصبح عددهم يُقارب المليون ونصف المليون نسمة، واستقروا بالأساس في جنوب شرقي آسيا، أمّا في اليابان فقد اندمجوا في المجتمع المحليّ.



▲ أطفال يدرسون داخل مغسلة بنيويورك.
صورة من إنجان باد غليك Bud Glick الذي قام،
من 1981 إلى 1984، بتصوير الحي الصيني بمنهاتن
لفائدة متحف الصينيين في أمريكا)

تعليم المهاجرين : نقص في التمويل

إنّ حوالي نصف النازحين في العالم، اليوم، هم دون 18 عاماً. وما فتئ عددهم يرتفع في السنوات الأخيرة حيث ازداد عدد اللاجئين والمهاجرين في سن الدراسة بنسبة 26% عما كان عليه في عام 2000. ذلك ما أورده تقرير اليونسكو العالمي لرصد التعليم لعام 2019 (GEM) تحت عنوان الهجرة والنزوح والتعليم: بناء الجسور لا الجدران، والذي يؤكد على أنّ حق هؤلاء الأطفال في الحصول على تعليم جيد، والمعترف به نظرياً، لا يطبق دائماً على أرض الواقع.

رغم ذلك أحرز تقدّم في إدماج هؤلاء الأطفال، لا سيما في عدد من البلدان الرئيسية المضيفة للاجئين، مثل تشاد، وأثيوبيا، وأوغندا. في حين تتميز كل من كندا وإيرلندا بتنفيذ سياسات تعليمية إدماجية للمهاجرين.

بيد أنّ التقرير ينبئ إلى أنّ جهود الإدماج تظلّ مهدّدة بسبب نقص المعلمين المؤهلين. فلتوفير تعليم جيد لجميع اللاجئين، تحتاج ألمانيا إلى 42 ألف معلم جديد، وتحتاج تركيا إلى 80 ألفاً، وأوغندا إلى 7 آلاف. وللمتمكّن من مرافقة هؤلاء الأطفال الذين عانوا من الصدمات في بعض الحالات، يحتاج هؤلاء المعلمون إلى تدريب خاصّ غالباً ما يفتقرون إليه. ففي لبنان، على سبيل المثال، تلقى 55% فقط من المعلمين تدريباً يؤهلهم للاستجابة لاحتياجات الطلاب النازحين.

كما أنّ هناك نقص حادّ في التمويل إذ يذكر التقرير أنّ الإنفاق على تعليم اللاجئين حول العالم لم يتجاوز 800 مليون دولار سنة 2016، أي ثلث المبلغ المطلوب.

الاستوائية جنوب شرقي آسيا أو في البلدان المعتدلة في أوروبا وأمريكا، أو تعلق الأمر بأنشطة مثل فتح الطرقات واستصلاح الأراضي القاحلة في جنوب شرقي آسيا في القرن الثامن عشر، وبناء مدن وموانئ واستغلال مناجم الذهب في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، ومدّ السكك الحديدية أو فتح المطاعم ومحلات المواد الغذائية في أوروبا في القرن العشرين.

وبفضل عملهم، فهم يسعون إلى كسب مكانتهم في المجتمع بفضل حسن التصرف في مداخيلهم وممتلكاتهم في فترة الصعوبات الاقتصادية، لذا تراهم يعولون على أنفسهم عند حدوث أزمة، حتى لا يضطرون إلى طلب المساعدة من عائلاتهم وأصدقائهم، ومن باب أولى وأحرى من المجتمع الجديد الذي يعيشون فيه.



الموجة الثالثة من المهاجرين الصينيين التحقت في أغلبها بالدول المصنّعة

كما ظلّ الصينيون المقيمون ما وراء البحار شديدي الارتباط ببلادهم الأصلية، ومن بين أهدافهم الرئيسية دعم أسرهم وأقربائهم وأصدقائهم. كما أنّ لديهم ثقافة راسخة في تحويل أموالهم إلى بلدانهم الأصلية. وهذه الرابطة تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل. وهم يُساهمون منذ ما يقرب من القرن في جهود تحديث الصين. فمئذ ثمانينيات القرن العشرين، بلغت الاستثمارات المتأثية من المغتربين ثلثي الاستثمارات الأجنبية التي رخصت فيها الحكومة الصينية.

صور نمطية

عادة ما يُعتبر المهاجرون الصينيون أشخاصاً يقبلون على العمل ومُقتصدون. وقد استطاع

الكثير منهم أن يكوّن ثروات، وينشئ مؤسسات، ويستثمر في الأسواق المالية.

ومن ميزاتهم إيلاء الأهمية لتعليم الجيل القادم وتربيته، ربّما عملاً بمقولة «كل عمل هو دون المستوى، وحدها القراءة أرفع». فالعائلات الصينية تقدّس التعليم، سواء كانت غنية أو فقيرة، وبغض النظر عن الدولة التي تعيش فيها. وحتى تلك التي لديها مستوى تعليمي منخفض، فهي مستعدة لتقديم التضحيات في سبيل أن يتلقّى أطفالها تعليمهم في مدارس جيدة.

هاتان الميزتان غديتا، أحياناً، تصوّرات نمطية عن جاليات المهاجرين الصينيين، مما زاد في تعميق الهوية التي تفصلهم عن المجموعات الاجتماعية الأخرى في البلدان

المضيقة. على أنه يصعب إصدار عموميات في شأن مجموعة مهاجرين بهذا الحجم. ففي ظلّ العولمة الشاملة والتواصل المستمر بين الثقافات، يكون من غير العقلاني ومن باب قصر النظر محاولة وصم مجموعات معينة من الأشخاص. وعلى كلّ، فقد واصل صينيّو ما وراء البحار استكشاف هويتهم وبنائها في هذا العالم الذي ما فتئ يسير نحو الاندماج. وفي إطار الجائحة المرتبطة بكوفيد-19 والتميز الذي أثارته ضد الأشخاص المنحدرين من شرق آسيا، يصعب مواجهة هذه التحديات في يوم واحد. غير أنّ الصينيين في الخارج عرفوا كيف يطوّرون على مرّ القرون قدرة على الصمود والمرونة لمجابهة هذا النوع من المحن. ■

الأسنان، مرآة لتنقلاتنا عبر التاريخ

تُمثّل الأسنان ثروة من المعلومات لعلماء الآثار إذ تمكّن من قراءة عديد البيانات لا سيّما المتعلقة منها بالهجرة.

جينى داري، اليونسكو

اليونسكو

الأسنان مع اللثة- تحتوي على كميّة من الحمض النووي تفوق 25 مرّة تلك الموجودة في العظم. وقد قام باحثون في جامعة أديلايد بأستراليا، سنة 2019، بتحليل القشرة الكلسية المتأثية من أسنان البولينييزيين القدامى للحصول على تحديد دقيق للتسلسل الزمني ومسارات هجرة الجماعات البشرية لما قبل التاريخ في المحيط الهادئ. ويعتقد علماء الأثنروبولوجيا أن دراسة القشرة الكلسية للأسنان يمكن أن تقدّم بعض الأجوبة عن التساؤلات حول مسالك الهجرات في الماضي.

واليوم، يطبق أخصائيّو الطب الشرعي هذه التقنيات لتحديد هوية المهاجرين الذين يموتون خلال رحلاتهم المحفوفة بالمخاطر. تقول د. فرايوالد «إنّه أمر أصعب شيئاً ما، لأنّ معاصرنا يأكلون أطعمة مُتأثية من عديد الأماكن المختلفة، ولكن إذا كان عملنا المشترك في هذا المجال قد يؤدّي إلى عودة الشّخص المتوفّي إلى ذويه، فإن الأمر يستحق ذلك». ■

حياتها. فالضرس الأوّل، على سبيل المثال، ينمو ويستقرّ خلال الفترة الأولى من الطّفولة، «مُخزّناً» بذلك، كيميائيّاً، النظام الغذائي للطفل. كما أن أضراس العقل تحتوي على سجّل يدوّن ما يأكله الكهل ويُرشد إلى مصدر الأغذية. هكذا يوفّر مجموع أسنان الإنسان خريطة للمكان الذي عاش فيه بين ولادته ووفاته.

وليست الأسنان وحدها التي تُوفّر لنا معلومات، فالصفيحة السنّية، أو القشرة الكلسية -تلك الطبقات الصغيرة جدّاً من بقايا الغذاء والبكتيريات المتراكمة في نقطة التقاء

تقول الدّكتورة كارولين فرايوالد، عالمة الآثار في قسم علم الاجتماع والأثنروبولوجيا بجامعة ميسيسيبي بالولايات المتحدة، أنّه «مع شيء من الفطنة، يُمكن للتركيبية الكيميائية للأسنان أن تُوفّر قصّة مُصغّرة عن حياة الإنسان». فعندما تتكوّن الأسنان، تُنثبّ عناصر مُتأثية من الغذاء والماء مثل الأكسجين والأزوت والكربون. تلك الرّواسب الكيميائية تكشف عن المكان الذي تمّ فيه إنتاج الأغذية واستهلاكها، «فقد وجدنا في ثقافات العالم بأسره أسناناً تحمل آثار الهجرات. نعتقد غالباً أن الشعوب القديمة كانت مستقرّة، لكنها في الواقع كانت دائمة التّنقّل».

إنّ الأسنان لا تنتج خلايا جديدة بعد تكوينها خلافاً للعظام التي تتجدّد طوال



إيفا-ماريا غيغل:

«تاريخ الإنسانية حكاية هجرات متعاقبة»

سواء لأسباب مناخية أو مرتبطة بالنزاعات أو بحثاً عن موارد العيش، دائماً ما تتقلّ الإنسان واختلط بغيره عن طريق التزاوج كما يتبيّن ذلك من تحليل جينوم العظام التي تمّ العثور عليها في المواقع الأثرية. وفي هذا المجال تقدّم لنا إيفا-ماريا غيغل، مديرة الأبحاث في المركز الوطني للبحث العلمي (فرنسا) ومسؤولة مشاركة في فريق علم الأحياء القديمة في معهد جاك مونو بباريس، التوضيحات التالية.

أجرت المقابلة أنياس باردون

اليونسكو

● كيف يمكن للمعلومات الجينومية أن تحكي القصة البيولوجية للسكان؟

يسمح التحليل الجيني بتوصيف تاريخ استيطان منطقة معيّنة، وبالتالي تنقّلات السكّان واختلاطهم عن طريق التزاوج بالجماعات الأصلية. فعلم الجينومات القديمة هو الذي سمح بإثبات أن الفلاحين من الأناضول أو أصيلي بحر إيجه قد انتقلوا إلى شمال غرب أوروبا منذ 8.500 سنة. كما أن الفلاحة وتدجين الحيوانات تطوّرت منذ حوالي 12.000 سنة في منطقة الهلال الخصيب في الشرق الأوسط، وإيران، والأناضول. ومنذ حوالي 8.500 سنة، بدأ هؤلاء الفلاحون في الهجرة نحو أوروبا عبر طريق قارّية تنطلق من اليونان مروراً بالبلقان، ثمّ هنغاريا، فالنمسا، وألمانيا لتصل إلى شمال فرنسا (الحوض الباريسي).

كما سلكوا طريقاً أخرى تمرّ حذو سواحل البحر الأبيض المتوسط عبر ما يعرف الآن بكرواتيا، وإيطاليا، وصقلية، وسردينيا، وكورسيكا وصولاً إلى جنوب فرنسا وشمال شرقي شبه الجزيرة الأيبيرية. هذه الظواهر تمّ التعرّف عليها بفضل تحليل البقايا التي عُثِر عليها أثناء التنقيب، سواء من خلال الشظايا الخزفية أو

● ما هو دور علم الجينومات (دراسة الحمض النووي القديم)؟

علم الجينومات (أو الباليوجينوميك) هو اختصاص مُكمّل لعلم الآثار والأنثروبولوجيا. فعلماء الآثار يقومون بالتنقيب واستخراج شظايا العظام التي يحاولون تحديد انتسابها إلى فترة تاريخية ما وثقافة معيّنة. إن تحليل الرّفات البشرية المستخرجة من الحفريات يُمكن من تحديد جنس الفرد، وربّما وضعه الاجتماعي، والأمراض التي أصيب بها، كما يُمكن في كثير من الأحيان من إعطاء مؤشّرات على طريقة اشتغال مجتمع ما. وتتمثّل مهمّة علماء الحفريات والجنيتيات في استخراج الحمض النووي من العظام لتحليل الجينوم الخاص بها. من ثَمّة، تتم مقارنة هذا الجينوم بجينوم أفراد عاشوا في فترات تاريخية أخرى، أو في أماكن أخرى، أو مقارنته بجينوم السكان الحاليين. وبهذه الطريقة، يمكن إعادة بناء سلسلة النّسب، أي الروابط العائلية، والقرباة الجينية، وكذلك الهجرات والتزاوج المختلط الذي حدث عبر الزمن.

لا توجد مجموعات سكانية «نقية» وراثياً

أدوات مصنوعة من حجارة الصوان أو عظام حيوانات أليفة مثل الغنم الذي أدخل بفضل هذه الجماعات من المزارعين. غير أن علماء الآثار لا يمكنهم، اعتماداً على المواد الموجودة تحت تصرّفهم، تحديد ما إذا كانت مهارات فلّاحي الهلال الخصيب وتقنياتهم هي التي سافرت فقط، أم أن مبتكري هذه التقنيات قد انتقلوا جسدياً إلى هذه الأماكن. وبفضل التحليل الجينومي، أمكن إثبات أن الفلاحين قد التقوا بالصيادين-القطّافين الأصليين المستقرّين منذ حوالي 14.500 سنة في أوروبا قبل أن يختلطوا جزئياً بهؤلاء الأقوام.

● هل يمكن للتحليل القائم على الجينوم أن يُلقى بأضواء جديدة على بعض الحقائق التاريخية؟

لقد حدث ذلك سنة 2012، عندما تم العثور على رفات فتاة، عاشت منذ ما لا يقل عن 50.000 سنة، في كهف دينيسوفا الواقع في جبال ألتاي في روسيا. وقد سمح تحليل جينوم عظام أصابع رجليها بإثبات وجود سكان معاصرين للإنسان النيودرتالي. هؤلاء السكان، الذين كانوا يعيشون في آسيا، انتشروا واختلطوا بالسابيانس الأوائل القادمين من إفريقيا، والحال أن علماء الأثروبولوجيا القديمة لم يكونوا، إلى حد الآن، يعلمون بوجود هذه المجموعة السكانية. مثال آخر في هذا المجال يتمثل في هجرة الأيمنايأس إلى أوروبا، وهم من البدو الرحل القادمين من السهوب البونتيية شمال البحر الأسود. هؤلاء السكان، الذين كان اقتصادهم يعتمد على تربية البقر، اجتاحوا وسط أوروبا وشمالها منذ حوالي 5.000 سنة، واختلط الرجال منهم خاصة بالفلاحين من السكان الأصليين في أواخر العصر الحجري الحديث. ونظرا لارتفاع نسبة نجاحهم الإنجابي، حدث استبدال جينومي هام، وهو ما يسمى بالاقترام introgression. وإلى اليوم، ما زال 80 إلى 90% من الرجال، في كل من بريطانيا الفرنسية، وإيرلندا، والمملكة المتحدة، يحملون كروموزوم Y من اليمنايأس. هذه الظاهرة لم تكن معروفة لدى علماء الآثار لأنهم لم يعثروا على آثار مادية لمرور اليمنايأس.

● ماذا نعرف عن أسباب مختلف هذه الهجرات؟

يمكن التفكير في عدّة أسباب، لكنها تبقى مجرد فرضيات إذ لا نستطيع تقديم أدلة علمية في الغرض. فأسباب هذه التنقّلات قد تكون مناخية كما يمكن أن تكون ديموغرافية. فلهجرات دوافع عدّة منها ما هو مرتبط ببحث مجموعة ما عن مورد عيش كما هو الشأن بالنسبة للصيادين-القطّافين الذين كانوا يتقوّنون هجرات الحيوانات الكبيرة. وعندما تطوّر المناخ، كان على البشر أن يبحث عن أماكن أخرى للعيش. كما أن التّزاعات بين السكّان سبب آخر للهجرة. وكما هو الحال اليوم، كانت أسباب التنقل، منذ آلاف السنين، مناخية أو معيشية أو بسبب التّزاعات.

● على ضوء تحليل جينوم أسلافنا، هل يمكن القول إننا جميعا مهاجرون؟

إطلاقا. في البداية، نحن كلنا أفارقة، لأن أسلافنا جميعا أتوا من إفريقيا. فالإنسان العاقل (هومو سابينس) تطوّر في إفريقيا قبل أن يغادرها على مراحل. المرحلة الأخيرة هي مرحلة أسلافنا المباشرين. ومن ثمّ، فنحن جميعا مهاجرون لأن تاريخ البشرية يتكون من سلسلة هجرات متعاقبة. فمنذ غابر الأزمان كان البشر يتنقل ويختلط عن طريق التّزاوج، وهو ما يؤدي أحيانا إلى استبدال السكان الأصليين، ولكن ليس في كل الحالات.

لم نكن أبدا مقيمين أو مستقرّين. فقد كنّا دائما مضطرين للتنقل والتأقلم. فلا وجود لمجموعات سكانية «نقية» وراثيا. وهو ما يدعو إلى الارتياح، لأننا، نحتاج، بيولوجيا، إلى اختلاط الجينومات. ■



► كلنا مهاجرون، رسم للفنان الصّربي غوران باجيك.

دومينيك روجيه:

«اليونسكو أتاحت لي رؤية العالم»

الصور: اليونسكو / دومينيك روجيه

النص: كاترينا مركيلوفا، اليونسكو

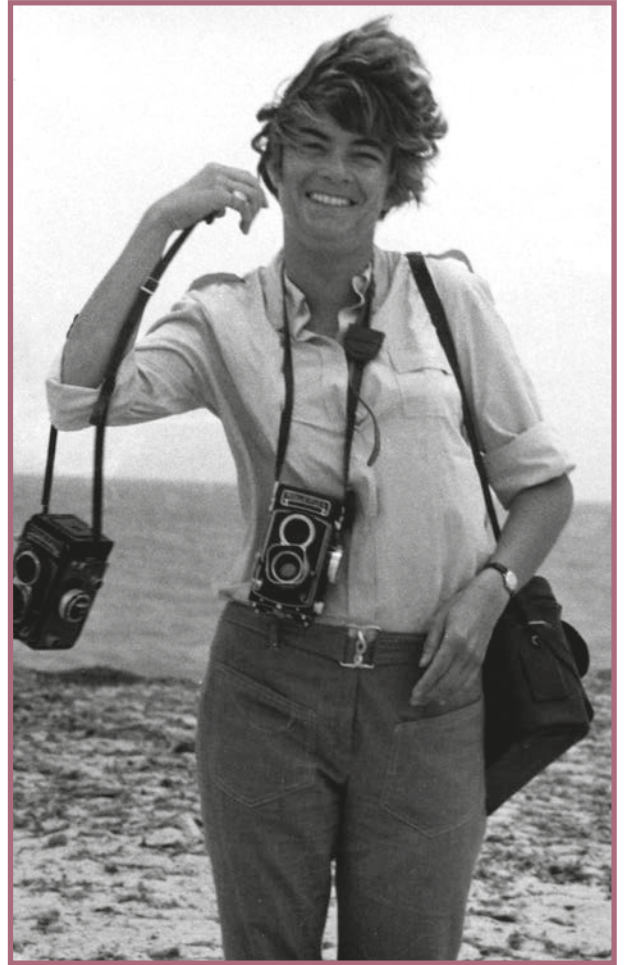
في الرابع من نوفمبر 1966، تسبب مدّ عال استثنائي الحجم (أكوا ألتا) في تدمير السدود الساحلية لمدينة البندقية، وأغرق تلك التحفة المعمارية تحت أكثر من متر من المياه. وفي أعقاب النداء إلى التضامن الدولي الذي أطلقته اليونسكو، تضافرت جهود بلدان العالم بأسره لمواجهة هذا الموقف. وقامت دومينيك روجيه، التي أوفدتها المنظمة إلى هناك، بإعداد تقارير مصورة عن الجهود المبذولة لإنقاذ المعالم الأثرية والرسوم الجدارية لهذا الموقع الذي لم يكن مدرجاً آنذاك في قائمة التراث العالمي.

على مدى الثلاثين عاماً من حياتها المهنية، عملت دومينيك روجيه، التي ترأست قسم التصوير الفوتوغرافي باليونسكو بين عامي 1976 و1992، على تدوين أنشطة اليونسكو بالصورة سواء في مقر المنظمة أو أثناء المهمات العديدة التي كُلفت بها. فمن الحفل الموسيقي الحدث، الذي أحيتة الجنوب أفريقية مريم ماكيبا في عام 1978، إلى أول عمليات نشر لأجهزة الاستشعار من طرف اللجنة الدولية الحكومية لعلوم المحيطات، مروراً بحملات محو الأمية في الرأس الأخضر وإيران وبيرو، غطت هذه المصورة الصحفية ما تقوم به المنظمة من أنشطة يومية، سواء في باريس أو على الميدان. وتشكل الصور التي أنجزتها شهادة أساسية وإسهاماً هاماً في الذاكرة البصرية لليونسكو.

تقول المصورة الفوتوغرافية في كتابها «طريق نحو السلام»، الصادر سنة 2016: «اليونسكو أتاحت لي رؤية العالم، وأنا مدينة لها لأنها جعلتني أفتح عيني على الفوارق، وأوجه عدم المساواة، وتطلعات الناس الأكثر حرماناً، أي التّعرف على الآخرين».

وقد مثلت الصور التي أنجزتها دومينيك روجيه، والتي خصّتها رسالة اليونسكو بعدد الصفحات، موضوع عدد كبير من المعارض الدولية.

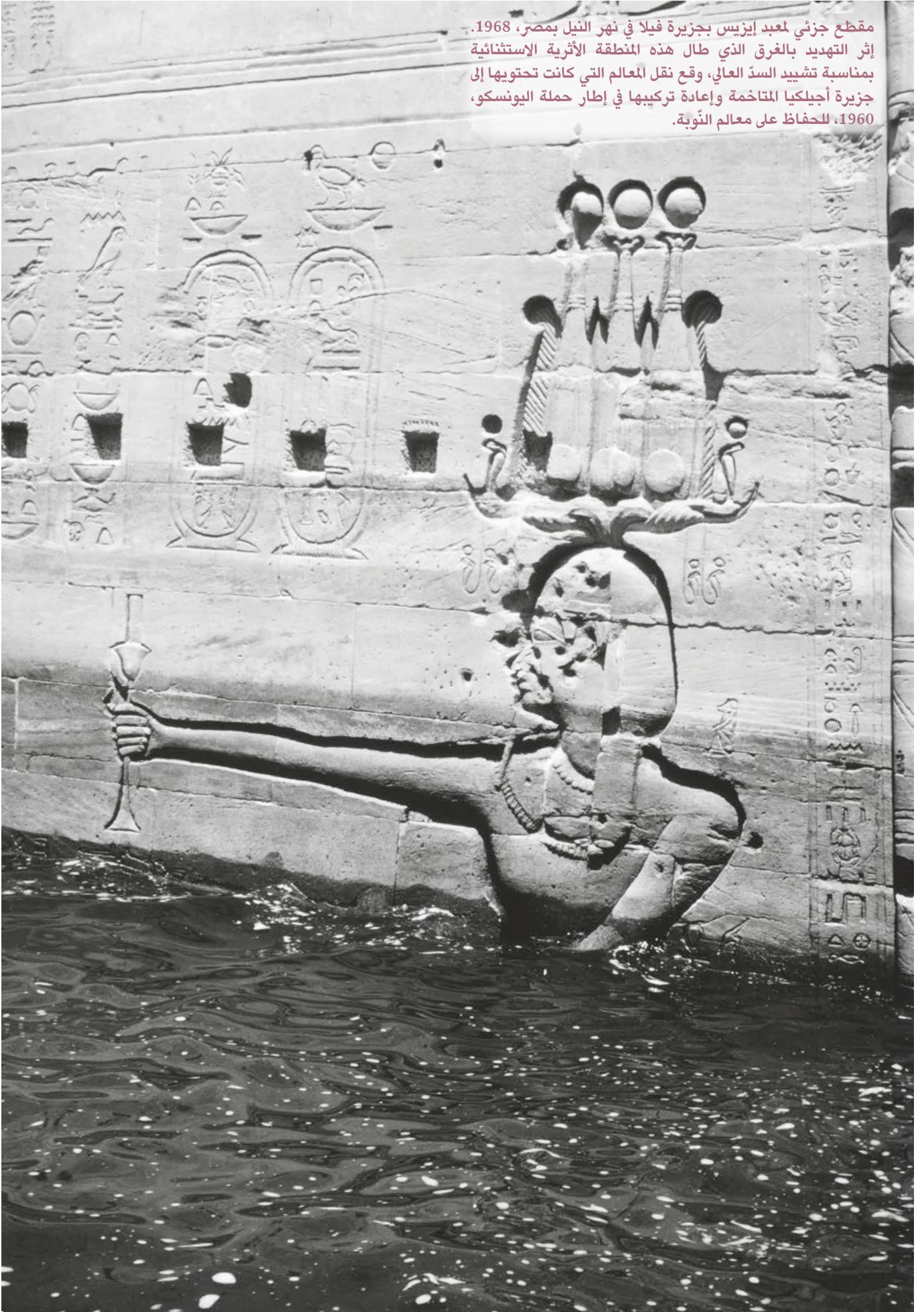
تنشر رسالة اليونسكو هذا العرض التاريخي بمناسبة الاحتفال بمرور 75 عاماً على تأسيس اليونسكو التي أصبح ميثاقها التأسيسي سارياً منذ 4 نوفمبر 1946.



© DR

دومينيك روجي في مهمة في السنوات السبعين.

مقطع جزئي لمعبد إيزيس بجزيرة فيلا في نهر النيل بمصر، 1968. إثر التهديد بالغرق الذي طال هذه المنطقة الأثرية الاستثنائية بمناسبة تشييد السدّ العالي، وقع نقل المعالم التي كانت تحتويها إلى جزيرة أجيلكيا المتاخمة وإعادة تركيبها في إطار حملة اليونسكو، 1960، للحفاظ على معالم النوبة.





ترميم سقيفة كارياتيد أركتيون، 1968. إثر تدهور حالة معالم
أكروبول أثينا، أطلقت اليونسكو الحملة العالمية للحفاظ على
أكروبول أثينا وصيانتته.



ترميم رسوم فنية من طرف الرسّام أصيل البندقية،
دجوفاني باتيستا بيازيتا (1682-1754) في بازيليك
سان دجوفاني إي باولو بالبندقية، 1968.

عملية تنظيف وصيانة مجسم ملاك صغير في ورشة
الفنان المرمم بولاتشيو دافنذاتي، فلورنسا (1967)،
في إطار حملة اليونسكو العالمية لإنقاذ فلورنسا والبندقية
إثر فيضانات 1966.



تلوث المياه في بحيرة البندقية، 1968.



1



2





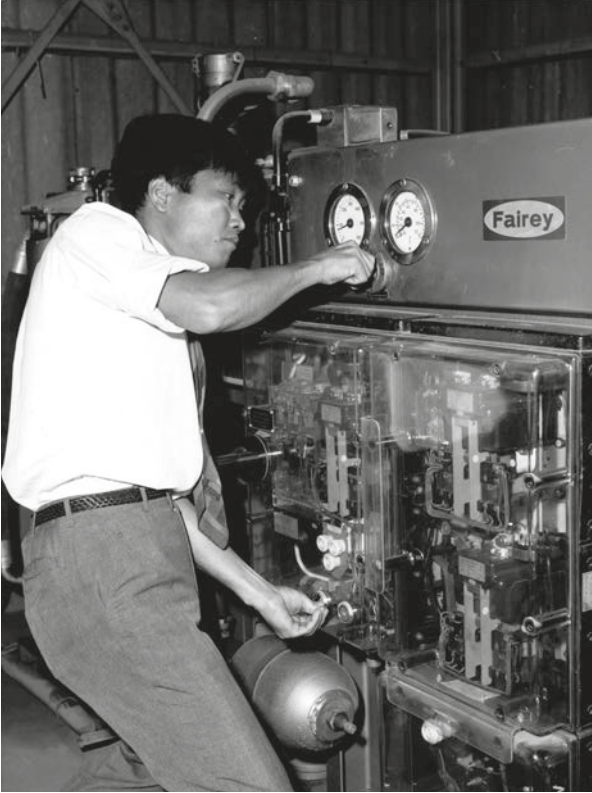
1. عرض موسيقي لمريام ماكيبا، المطربة الجنوب إفريقية والمناضلة من أجل الحقوق المدنية، بمناسبة السنة الدولية لمكافحة التمييز العنصري، مقرّ اليونسكو بباريس، 21 مارس 1978.

2. يهودي مينوهين على آلة الكمنجة، وويلهالم كامف على البيانو، في حصّة تدريب بقاعة بلايال في باريس، 9 يناير 1974، تحضيرا لحفل موسيقي أقيم بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لانبعاث مجلس اليونسكو الدولي للموسيقى.

3. ليوبولد سيدار سنغور (على اليسار)، رئيس السنغال رفقة أمادو- مختار مبو، المدير العام لليونسكو، أثناء زيارة إلى مقرّ اليونسكو في باريس، في ماي 1978.

4. الموسيقار والملحن الهندي، رافي شنكار، أثناء سهرة موسيقية في مقرّ اليونسكو بمناسبة الذكرى العشرين لانبعاث المنظمة في نوفمبر 1966.

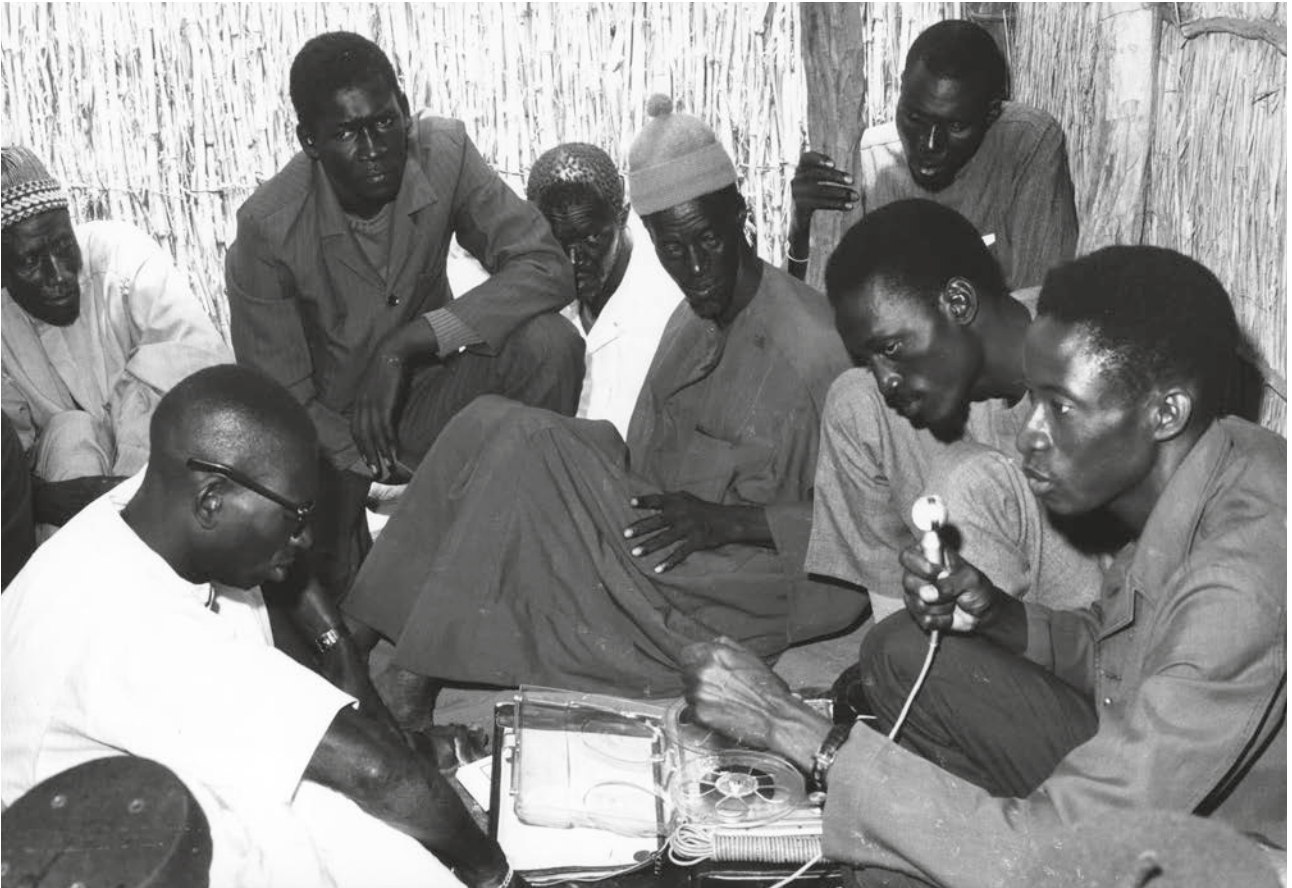




طالب يثير زلزالا مصغراً يتم إرساله إلى «طاولة الارتجاجات» بواسطة جهاز هيدروليكي، اليابان 1969. يهدف برنامج الأمم المتحدة للتنمية -الذي تسهر اليونسكو على تنفيذه - إلى مساعدة الحكومة اليابانية على تدريب خبراء، قادمين من بلدان في طور النمو، على مكافحة تأثيرات الزلازل.



قيس حرارة الماء وملوحته من طرف المركز الوطني لبحوث المحيطات بمدغشقر، عضو لجنة اليونسكو الدولية الحكومية لعلوم المحيطات، نوزي-بي، 1989.



فلاخون من تاسات، في السينغال، يعرضون مشاغلهم أثناء حصّة تربوية على موجات راديو داكار، 1971.

أطفال وكهول يشاركون في برنامج نموذجي
لمحو الأمية تحت إشراف الحكومة الإيرانية، في
منطقة كازفين، 1965.







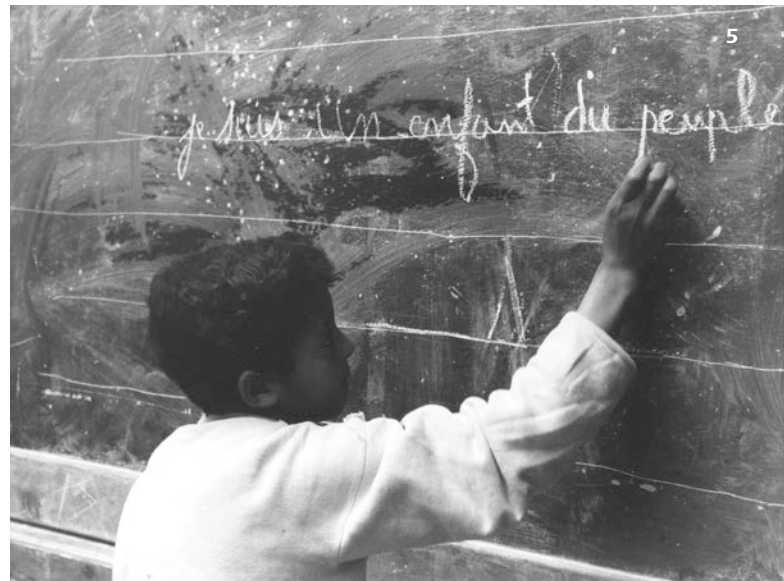
1. المركز المدرسي الترفيهي في بامبلونا في بيرو (1967)، بدعم من اليونسكو، يستقبل 600 فتاة في النهار. ويوفر، في المساء، دروساً في محو الأمية، والخياطة، والحياكة، والإسعافات الأولية لفائدة الأولياء.

2. تلميذة بمدرسة ابتدائية في كون بو سيتي، شمال سيول، جمهورية كوريا، 1969.

3. درس في محو الأمية للكهول. الإكوادور، 1967. تقول دومينيك روجي في كتابها «طريق نحو السلم»: «بالنسبة لي كمصورة في سنّ 35 سنة 1967، لا شيء يثير فيّ المشاعر أكثر من رؤية الكبار بصدد التعلّم. هذا الوجه المتحمس الذي حفرتة السنون، وهو منكبّ على كراسه على ضوء مصباح زيتي، داخل كوخ ناء، ظلّ وسيظلّ لحظة تأمل مثالية في لوحة رائعة».

4. درس في محو الأمية في منطقة ريفية، جزيرة فوغو بالرأس الأخضر، 1990.

5. تلميذ بقصر هولدن، مركز استقبال ماسحي الأحذية الصغار في الدويرة بالجزائر، 1964.



العلم المفتوح،

حلم بدأ يتحقق

أتاحت جائزة كوفيد - 19 إحراز تقدم فعلي في مجال تقاسم البيانات العلمية، لكن الطريق مازال طويلاً للوصول إلى «علم مفتوح» حقيقي. ولئن سجّلت فكرة الصالح العام تقدماً، لاسيما لدى جيل الباحثين من الشباب، فإن التعامل مع المعارف العلمية كبضاعة يظل القاعدة. ويتبيّن على ضوء هذه التساؤلات أنّ الرّهان يكمن في العلاقة بين المواطنين والعلم.

شريفة أبو قاسم زغموري

أستاذة في علوم المعلوماتية والاتصال، جامعة كلود برنارد، ليون، فرنسا.

التي تستولي على ملك عام - وهي المعرفة العلمية - التي يتم اكتشافها وإنتاجها من طرف علماء من القطاع العام وبتمويل عمومي. إن النّفاذ إلى العلوم، وتقاسمها، وإخضاعها إلى الشفافية، وإعادة استخدامها، وتفاعلها مع المجتمع، تمثّل القيم التي يدافع عنها العلم المفتوح. وهي قيمٌ يمكن أن تجد ترجمتها العملية، من هنا فصاعداً، في المنصات والبني الأساسية الرقمية. كما أنّ «إعادة الصياغة» هذه يجب مقاربتها على ضوء المعطى المجتمعي إذ يتعيّن على العلم أن يجدد علاقاته بالمجتمع مع مراعاة عديد الظواهر من قبيل انتشار الأخبار الزائفة، أو تصاعد النزعات الشعبية، أو تفاقم أوجه عدم المساواة.

جيل جديد

لقد أتاحت الجائزة النشر الإعلامي لظاهرة أخرى في مجال انفتاح العلوم بعد أن كانت هذه الأخيرة مقتصرة على الدوائر الأكاديمية إذ نشاهد، حالياً، ظهور جيل جديد من الخوادم الرقمية تسبّرها المجموعات العلمية التي تتبنى مبادئ العلم المفتوح، وممارساته السلمية، ومعاييرها.

إن الباحثين الشباب، الذي يحتلون مكانة مهمة ضمن هذه الجماعات، ينجزون الاختبارات والتجارب سعياً وراء إعادة استنباط نموذج اتصال علمي أكثر انفتاحاً، بما في ذلك على المجتمع الذي يمكنه أن يساهم فيه من

نشر نتائجه، إذ أصبح باهظ الثمن بالنسبة للباحثين الذين ينتجون، ومرتفع الكلفة بالنسبة للمكتبات التي ترغب في الاشتراك في النشريات المرموقة.

استبضاع المعارف العلمية

أفضت دراسة الظروف التاريخية التي أدت إلى ظهور حركات تناضل من أجل علم مفتوح إلى الإدراك بأن هذا «الانغلاق» عميق التجذّر في المسيرة الطويلة نحو تحويل المعارف العلمية إلى بضاعة تجارية. فهذه المعارف أصبحت تمثّل، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، سوقاً مربحة للغاية تُوفّر للفاعلين الرئيسيين (دور النشر العلمية) مليارات الأورو سنوياً.

ورغم أنّ المطالب المنادية بانفتاح العلم تتصاعد، في صيغتها الحالية، مع المنطق التجاري والتصرّف الإداري الذين هيكلتا تنظيم العلم منذ خمسينات القرن الماضي، أكثر من تصادياها مع إدانة المنطق الشمولي أو الكلياني الذي أفضى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية، فذلك لا يمنع وجود علاقة انتساب إلى مطالب أخرى أقدم مثل التي أعلنها عالم الاجتماع الأمريكي روبرت ك. ميرتون وفيلسوف العلوم النمساوي كارل بوبر، والمنذرة بالاحتكاكات باعتبارها أشكالاً جديدة للشمولية التجارية

أتاحت جائزة كوفيد - 19 رصد انخراط كبير في مجال التعاون وتقاسم المعارف العلمية بين الباحثين من أجل مواجهة الفيروس وتوفير طرق العلاج الأكثر ملاءمة، والتوصّل إلى اختراع لقاح بالخصوص. وكانت الجائحة فرصة سقطت معها الحواجز عندما قامت مجموعات دور النشر العلمية الكبرى (مثل إيلسيفير Elsevier أو سبرينغر Springer أو ويلي Wiley) بإتاحة الوصول إلى ملايين المقالات البحثية لفائدة الأخصائيين من جميع أنحاء العالم، وتمكينهم من التعرف على التقدم المحرز في مجال البحوث، وتبعا لذلك التسريع في نسق بحوثهم.

كما رفعت القيود عن البيانات والبيانات الوصفية (البيانات)، باعتبارها الوقود الجديد للبحوث العلمية، لتصبح موضوع تقاسم بين مجموعات الباحثين. هكذا أفلتت المعارف العلمية لفترة من الزمن، بصفتها نفعا عاماً، من الأشكال العتيقة والراسخة للملكية التجارية التي لا تشجّع على نشر المعارف العلمية.

وقد كان لهذا الحدث أثره على إحياء النقاشات حول «العلم المفتوح». فالحاجة لئن أصبحت ملحة للانفتاح اليوم، فلأن العلم لم يعد، في جانب منه، متاحاً للباحثين من خلال

مخاطر الاستئثار بالمزايا، وحتى الشراء، مثلما ما شاهدنا ذلك في الماضي.

إن الاهتمام الواضح بتحقيق علم مفتوح لا يقتصر على المجتمعات الأكاديمية فحسب، بل يشغل الآن جدول الأعمال السياسي، الأوروبي والدولي. وفي الواقع، فإنّ هذه التوجّه نحو انفتاح العلوم يتجاوز مسألة النفاذ الحرّ إلى النشريات العلمية ليشمل الانفتاح على بيانات البحوث ذاتها (وفقاً لمبدأ الانفتاح قدر الإمكان والانغلاق حسب الاقتضاء) وعلى العلم التشاركي الذي أصبح ميزة القرن الحادي والعشرين. وقد شرعت بعض البلدان في تبني سياسات في مجال تقاسم المعارف العلمية.

ومن المظاهر الأخرى لهذا الاهتمام اعتراف اليونسكو بتقديم توصيات، في نوفمبر 2021، بشأن العلم المفتوح إلى الدول الأعضاء لتيسير التعاون الدولي وتعميم الانتفاع عالمياً بالمعارف العلمية. وتشمل هذه التوصيات النشريات، والبيانات، والبرمجيات، والموارد التعليمية والعلم المواطني على حد سواء تأكيداً على أهمية

“

إن الاهتمام الواضح بتحقيق علم مفتوح يشغل الآن جدول الأعمال السياسي، الأوروبي والدولي.

وقد أبدت بعض الوكالات الخاصة الممولة للبحوث، مثل بيل وميلندا غيتس فونديشن (Bill & Melinda Gates Foundation) أو تشان زوكربيرغ إينيشياتف (Chan Zuckerberg Initiative) اهتماماً بهذه النماذج ودعمتها، والمؤكد أن هذا الدعم يتيح فرصاً حقيقية (للتمول)، بيد أنه ينطوي على

خلال تعليقاته. وهذا الشباب يمثّل الجيل الذي كبر مع شبكات الويب والوسائل الرقمية، وهو لا يخشى أن يهز أركان منظومة لا يمكن النفاذ إليها دون كلمة السر، منظومة النشر في المجلات المرموقة، والبالغة الانتقائية والباهظة الثمن.

لقد كان لبعض هذه الخوادم دور ريادي في نشر المعلومات العلمية حول جائحة كوفيد-19، حيث مكنت الباحثين من تقاسم ما وصلوا إليه من نتائج، فوراً، من أجل المضي قدماً بخطوات أسرع وعلى نحو جماعي أفضل. وتستمد هذه المنظومات قيمتها من القدرات الوظيفية والخدمات المتقدمة التي يتوقف تطويرها على الذكاء الاصطناعي، لاسيما في مواجهة التدفق المتواصل للموارد. وحتى إن لم ينتهج الباحثون الطريقة الكلاسيكية في عرض أعمالهم على التقييم من طرف نظرائهم، فإنهم يقومون بتجريب نماذج تضيي على المقالات قيمة اختبارية اعتماداً على التعبئة التشاركية للمجموعات العلمية.



رسم © بورس سيمينياكل لعائدة رسالة اليونسكو

توصية اليونسكو بشأن العلم المفتوح

بمناسبة المؤتمر العام لليونسكو الذي انعقد في نوفمبر 2021، سوف تدعى الدول الأعضاء إلى النظر في مشروع توصية بشأن العلم المفتوح بغرض تحديد القيم المشتركة المتعلقة بالعلم المفتوح، واقتراح تدابير ملموسة بشأن الانتفاع الحر بالبيانات وتعزيز نشر المعارف العلمية في جميع أنحاء العالم.

وتأتي دراسة النص هذه من قبل المؤتمر العام تتويجاً لعملية تشاورية استغرقت عامين أقامت خلالهما اليونسكو شراكة جمعت بين أكاديميات، وجامعات، ومكتبات، ودور نشر، وباحثين شبان. وقد وقع تكليف لجنة علمية، مؤلفة من 30 خبيراً من جميع أنحاء العالم، بإعداد مشروع أولي بعد استشارة عالمية لخبراء، ومواطنين، وممثلين عن منظمات غير حكومية، ووكالات تابعة للأمم المتحدة. وتشكل هذه التوصية مرحلة رئيسية لتيسير التعاون الدولي وتعميم الانتفاع بالمعارف العلمية.

مساواة بين المؤلفين القادرين على تحمّل هذه المبالغ وبالتالي نشر أعمالهم وفق نظام الانتفاع الحر وبين المؤلفين الذين لا يتوافر لهم ذلك والذين لن يتمكنوا من النشر سوى في المجلات التقليدية التي لا يمكن النفاذ إلى مضمانيها سوى عن طريق الاشتراك الباهظ التكلفة.

إن العلم المفتوح بصدد التحقق، إذن، على مفترق الطرق بين سياسات ما فتئت تتخذ طابعاً دولياً متزايداً ومجتمعات علمية نشيطة بصدد تجديد أجيالها وممارساتها والاتحاد حول نماذج تبتكر خارج الأنماط السابقة. وتحاول النماذج الجديدة التي تلوح في الأفق الإفلات، خاصة، من احتكارات الماضي. ولعلّ التحوّلات التي يشهدها العلم اليوم تدور حول هذه الرهانات تحديداً والمتمثلة في التحرر من المنطق الإقصائي في الخضوع للقيمة النقدية، ومن الفوارق في مجال الانتفاع بالمعارف، والأشكال الجديدة للاحتكارات التي تزيدها التكنولوجيات الرقمية احتداداً، وذلك من أجل التصدي على نحو أفضل للتحديات المعقدة التي يواجهها المجتمع. ■

العالم، التي يمكن الوصول إليها مجاناً، تتزايد باستمرار حيث تشير التقديرات إلى أن 75% من المنشورات سوف تكون مفتوحة بحلول عام 2030. في حين تشهد التوعية والتحسيس بشأن فتح بيانات البحث العلمي تقدماً، ويتطوّر إدراك التحديات والممارسات الملازمة لها، وتُستنبط أشكال جديدة من الوساطة العلمية بناءً على مبادرة من الباحثين أنفسهم الذين يستعينون بالشبكات الاجتماعية أو بشرائط الفيديو.

أما مجموعات النشر العلمي الكبرى والمناهضة لانفتاح العلم فقد تحولت إلى نصيرٍ متحمّس للانفتاح. وبادرت بنقل منصاتها الرقمية بهدف تبني التحوّل الجاري.

كما تحوّلت المفاوضات التي كانت جارية بين الناشرين والمكتبات حول أسعار الاشتراكات إلى مفاوضات من أجل إبرام «اتفاقات تحويلية» مدارها أسعار النشر في المجلات التي يصدرها الناشر، أو التسعيرة الموحّدة لعدد معيّن من المقالات القابلة للنشر. وتبدو مثل هذه الرهانات غريبة في وقت تسعى فيه الجامعات إلى كسب مكانة في التصنيفات الدولية التي تأخذ بعين الاعتبار على وجه الخصوص عدد المنشورات الصادرة عن كلّ مؤسسة.

إن عدم المساواة القائمة حتى الآن بين القراء (بين أولئك الذين يمكنهم الانتفاع الحر والذين لا يستطيعون ذلك) تحولت إلى أوجه عدم

الخيار بين علم منحصر في الدوائر الأكاديمية ومواطنين يسعون، معاً، لأن تحدّد أهداف التقدم العلمي خارج اعتبارات المنطق النقدي وانحرافاته.

النفاذ الحر والمجاني إلى المنشورات

هذا السياق السياسي الوطني والدولي ساهم في وضع إطار للبحوث كان يعتبر، لعشرين سنة خلت، طوباوياً، وما فتئت أعداد المنشورات في



إن النفاذ إلى العلوم، وتقاسمها، وإخضاعها إلى الشفافية، وإعادة استخدامها، وتفاعلها مع المجتمع، تمثل القيم التي يدافع عنها العلم المفتوح

تخضع البحوث التي يقوم بها العلماء، قبل نشرها، إلى تقييم من قبل المستشارين المقيمين، وهم خبراء يقومون بفحص مدى دقة النهج المتبع في البحوث ومدى وثوقية النتائج المترتبة عنه. غير أن هذه العملية النقدية لا تحول دون حدوث بعض الانحرافات. كما أنها تستعصي تماماً على عامة الناس الذين يفتقرون إلى العناصر الأساسية لفهم الكيفية التي يصاغ بها العلم.

من أجل تقييم علمي أكثر شفافية

أليكس هولكومب

أستاذ في كلية علم النفس بجامعة سيدني،
أستراليا

بعد مرور عام ونصف على تفشي جائحة كوفيد - 19، أنقذ العلم العديد من الأرواح. فلولا البحوث الطبية الحيوية، لكان من غير الممكن تطوير اللقاحات، ولا كان ممكناً تقييم فعاليتها. لكن المجتمع العلمي لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية في مواضيع أخرى حاسمة مرتبطة بالجائحة بدليل أن الجدوى من الألقنة، وموثوقية نماذج انتقال الفيروسات، مثلاً، لم يقع إثباتهما قطعياً نظراً للعيوب التي شابت عديد الدراسات ذات الصلة.

إن العلم مجال معقد، ومن السهل إجراء بحوث بطريقة غير سليمة. لذا وجب تقييم التدايعات المترتبة عن كل دراسة علمية من طرف الخبراء، وبصفتي باحثاً، أعرف بالتجربة أن خبراء مكلفون بالتقييم تفتنوا، في كثير من الأحيان، إلى نقائص غابت عني في عمالي البحثية. فالمجتمع العلمي لديه طريقة تخول إنجاز هذا النوع من المراقبة على نحو سليم، وإجراء تقييمات من طرف مستشارين مقيمين. ومع ذلك يظل هذا التقييم قابلاً للخطأ.

فأحدث الدراسات العلمية لا تحظى بالثقة إلا إذا توافر لأصحابها الوقت الكافي



رسم © فرانيسيك رواج لقاعة رسالة اليونسكو

»

إن نفاذ الجمهور
إلى المناقشات

التي تدور بين

الخبراء، يتيح فهماً
أفضل للعلم

لإخضاعها إلى اختبارات إضافية وعُرضت على الفحص الدقيق لعديد الخبراء. وعندما تُنشر نتائج البحوث، فإن القراء لا يرون منها سوى مقالات الباحثين الذين أنجزوا الدراسة، ولا شيء آخر.

سيرورة مغلقة

والحال أن عملية فحص البحوث تُستهل، عموماً، عندما يُرسل فريق من المختصين العلميين إلى مجلة علمية وثيقة تصف نتائج

جديدة. فيتولى رئيس تحرير المجلة، وهو عادة ما يكون باحثاً في جامعة أخرى، دراستها ويقرّر ما إذا كانت تفي بمعايير الجودة المتبعة في المجلة. وإذا كانت الحالة تلك، فإنه يستعين بخبراء متخصصين في الموضوع ذاته، والذين غالباً ما يقدمون تعليقات ويبدون انتقادات تتم إحالتها إلى مؤلفي الوثيقة. وأنا لا أحبّد، والحقّ يقال، الاطلاع على الانتقادات المتعلقة بأعمالي، لكنني أدرك أهميتها. وبعد تصويب بعض أوجه القصور في الحجج والأدلة المقدّمة وتطوير الفرضيات المتصلة بالموضوع، يكون بمقدورنا أن ننق أكثر فيما توصلنا إليه من استنتاجات على أمل أن يكون لها تأثير أكبر.

هذا الأخذ والردّ بين المؤلفين ورؤساء التحرير والمستشارين المقيمين يفرضي إلى وثيقة نهائية تتضمّن تحليلاً أكثر صرامة للبيانات، ويقدم وجهة نظر أكثر دقة حول الدعايات المترتبة عنها.

لكن المؤسف أن الجمهور لا يعلم شيئاً عن العناصر التي شكلت موضوع إعادة النظر لأن عملية التقييم من قبل المستشارين المقيمين تتم خلف الأبواب المغلقة، داخل جدران محمية بكلمة سر تحول دون الوصول إلى قاعدة البيانات الخاصة بالمجلة. بذلك يظلّ القراء غير عارفين بالجوانب التي كانت مثار جدل بحكم حرمانهم من حق الاطلاع على سير المناقشات. فلهنّ العناصر التي أثارت الجدل بين الخبراء، من الضروري أن يكون الجمهور على دراية بتضارب الآراء الذي ظهرت أثناء عملية التقييم من طرف المستشارين المقيمين.

دراسات موضع تشكيك

في عام 2020، تم سحب دراستين تناولتا الآثار الناجمة عن الهيدروكسي كلوروكين وعن العقاقير المضادة لارتفاع ضغط الدم على تطور جائحة كوفيد - 19، بعد نشرهما، وذلك إثر عملية تقييم تقليدية من قبل المستشارين المقيمين بطلب من مجلة لانسييت The Lancet ومجلة نيو انجلاند جورنال أوف ميديسين The New England Journal of Medicine، وهما من أفضل المجلات حظوة في أوساط المجتمع الطبي. وقد قبلت المجلة الأخيرة نشر المقالة بعد أن تلقت تعليقات من قبل أربعة خبراء، دون أن تعلن، طبعا وكما هي العادة، عن الشكوك والتساؤلات المُعبّر عنها أثناء عملية التقييم.

ونعلم اليوم أنّ عديد الأخصائيين العلميين الذي لم يشاركوا في عملية التقييم سرعان ما التقطوا علامات تشير إلى مواطن شكّ في بيانات الدراسة، وأرسلوا خطابات تحوي انتقادات إلى المجلة في غضون أيام من نشر المقال. وقد كان للاهتمام البالغ الذي أثاره الموضوع تبعاته على دفع الخبراء إلى فحص المقال بعد نشره والتعبير عن شواغلهم. لكن المؤسف أن هذه الحالة تظلّ استثنائية.

وثمة مثال آخر حدث في عام 2013، حيث اعتقد باحثون أنهم أعادوا إنتاج بروتينات موجودة على سطح فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) بأدنى مقياس لم يسبق له أن أنجز من قبل. ونُشر مقالهم في واحدة من أرقى المجلات في العالم، قبل أن يُكتشف، لاحقا، أنّ



نادراً ما يتم إشراك النساء والباحثين من البلدان النامية في عملية التقييم

أربع مجلات على الأقل رفضت نشره. واستند البعض من هذه المجلات إلى الانتقادات الحادة التي وجهها المستشارون المقيّمون، والتي لم يُنشر شيء منها. وقد بلغت إلى علم المجتمع العلمي ملاسبات هذه القضية بفضل بعض الصحفيين.

وأمام هذه الانتقادات، شرعت بعض من هذه المجلات، اليوم، في نشر تقييماتها المنجزة من طرف مستشارين مقيمين. وأصبح العديد من الباحثين ينشرون مقالاتهم على شبكة الإنترنت قبل أن يعرضوها على المجلات. كما اكتسبت منصات النقاش المخصصة لنقد المنشورات العلمية نشاطاً أكبر.

هذا، وقد أصبح رؤساء تحرير هذه المجلات يجدون صعوبات متزايدة في العثور على خبراء قادرين على القيام بعمليات التقييم التقليدية، لذا ينحو الكثير منهم إلى الاعتماد، على نحو غير متناسب، على خبراء من بين معارفهم

أو باحثين ممن تنهال عليهم الطلبات ولا يستطيعون الاستجابة لجميعها. على أنّ هذه الممارسة، التي تحدّ من سرعة عملية التقييم من قبل المستشارين المقيمين، لا تعكس التطور الديموغرافي للمجتمع العلمي.

وذلك أنّ النساء وأفراد الأقليات أصبحوا يكرّسون أنفسهم للعلم على نحو متزايد، كما أن مساهمات البلدان النامية مثل الصين تشهد تطوّراً سريعاً. غير أنّ هؤلاء الباحثين يبقون خارج مجال الرؤية ولا تلتقطهم رادارات الأخصائيين العلميين المحنّكين والمتحكّمين في المجلات التي يقيم معظمها في أمريكا الشمالية وأوروبا.

ولعلّ ازدهار هذه الإمكانيات الجديدة في النّقد والتعليق قد يسمح بفضّ مثل هذه الإشكاليات في المستقبل. وقد شرعت بعض المجلات في دعوة الخبراء إلى نشر تعليقاتهم على مواقع الويب المرتبطة بها. وقد يساعد تطوير هذه الممارسة على تنوع عمليات التقييم من قبل المستشارين المقيمين.

من أجل فهم أفضل للعلم

من المؤكّد أنّ الجدلية القائمة داخل مجتمع الباحثين هي التي ترسم حدود المعارف وتضبطها، وهي التي تعبّر عن الشكوك التي قد تحوم حول فعالية لقاح جديد، أو جدية التنبؤات بشأن زيادة الجفاف في بلد ما، أو مصداقية النصائح المسداة في مجال التغذية، أو تقييم التبعات الاقتصادية للرسوم الجمركية. ويوم يتمكّن الصحفيون والجمهور من الاطلاع على جزء من المناقشات التي تدور بين الخبراء، فسوف تكتسب التقارير التي تقدّمها وسائل الإعلام مزيداً من الدقة، ويُفتح المجال، عموماً، لفهم أفضل للعلم.

وسوف يستفيد الخبراء من ذلك أيضاً. ففي صورة اطلاع الباحثين على بعض من التعليقات التي يقدمها المستشارون المقيّمون، سوف يسعون أكثر إلى إعادة النظر في بعض فرضياتهم ويتجنبون إضاعة الوقت في صياغة استنتاجات لا تقدر على الصمود. وبذلك يستفيد الباحثون من هذا الوضع، وكذلك العلم. ■

أمريكا اللاتينية،

إلدورادو الديناصورات

مريم بيريز دي لوس ريوس

أخصائية في علم الأحفريات، دكتورة في الأنثروبولوجيا البيولوجية وباحثة في جامعة تشيلي، متخصصة في تطوّر أشباه البشر hominoides من العصر الميوسيني (ما بين 23 و5 ملايين سنة). وهي أيضًا عضوة مديرة في الجمعية التشيلية لعلوم الأحفريات. تتمحور أبحاثها بالخصوص حول تحديد العلاقات التطورية بين الأجناس من خلال دراسة شكل الجماجم الأحفورية.



▾ ديناصورات «صورويود» ذات العنق الطويل (على اليسار) عاشت عبر العالم بأسره، وظلّ آخر ممثليها يعيش في أمريكا اللاتينية حيث تتطوّر إلى عملاق.

تضاعفت الاكتشافات الرائدة في علم الأحافير في السنوات الأخيرة في أمريكا اللاتينية إلى درجة أصبح يُشار فيها إلى المنطقة، أحياناً، باسم «مصنع الديناصورات». هذه التطورات العلمية يمكن تفسيرها، حسب ميريام بيريز دي لوس ريوس، بعودة الاهتمام بهذا التخصص وبالإضافة الحاسمة التي وفرتها مناهج البحث الحديثة.

أجرت الحوار لورا بيريدخو

اليونسكو

● فيمَ تتمثل أهمية الاكتشافات التي وقعت حديثاً في أمريكا اللاتينية؟

تلعب أمريكا اللاتينية، وطرفها الجنوبي خصوصاً، دوراً أساسياً في تفسير أصل الديناصورات وتطورها. وقد أنجزت اكتشافات أساسية في منطقة لاريوخا، في الأرجنتين، وهي دولة تملك تقاليد قديمة في علم الأحافير. وكان أحد أقدم الديناصورات المعروفة، "الإيورابتور لونايسيس"، الذي تم اكتشافه سنة 1991، قد عاش في هذه المنطقة منذ ما يقرب من 230 مليون سنة. وتقوم حالياً فرق في البرازيل بالبحث عن عينة أقدم في المنطقة الحدودية.

وقد عُثر على آثار عديدة لهذه الحيوانات العائدة إلى حقبة الحياة الوسطى *mésozoïque* (ما بين 250 و66 مليون سنة) حيث وُجدت بقايا منها في القارات الخمس إلى حين انقراضها المكثف في نهاية العصر الطباشيري، قبل 66 مليون سنة. وتُغطّي العينات التي تم العثور عليها كافة مراحل مرورها بالأرض، وقد كان انقراضها متزامناً مع بقية ممثلي هذا الجنس الموجودين في القارات الأخرى. غير أن الأحفوريات التي تمّت في المخروط الجنوبي لأمريكا اللاتينية سمحت باكتشاف بقايا تيتانوصورات - وهي ديناصورات عملاقة - تنتمي إلى أجناس فريدة مثل الشيليزوروس دياغوسوراريزي، أحد الأجناس النادرة المعروفة من ذوات الأقدام وأكلة الأعشاب. كما سمحت باكتشاف الديناصورات التي عاشت في أقصى الجنوب، والتي يمثلها "صوروبود" ضخّم تمّ انتشاله من تحت الأرض في توريس ديل باين، في تشيلي.



باين من أوسكار سانتيزيرو، مشكورا

المتاحف الوطنية أو المحلية في انتظار أن يُعيد لها الحياة عالم في الأحفوريات. صحيح أن التقنيات المخبرية مكّنت أيضا من إظهار خصائص جديدة للأحفوريّات تُعدّز

كازاميكلا، المتخصّص في بقايا هذا النوع الضخم من الصّوريين. كما سجّلت بلدان أخرى، مثل الإكوادور، وكولومبيا، وتشيلي، والبرازيل، وبيرو، تقدّما كبيرا خلال العقود الأخيرة بفضل عمل الفرق المشاركة مع الجامعات أو مراكز البحث، وبالتعاون أحيانا مع فرق دولية، من الولايات المتحدة بالخصوص.

• هل لتطوّر التقنيات دور في تواتر الاكتشافات؟

أعتقد أن تواترها لا يعتمد على الأساليب المستخدمة، والتي تظل تقليدية إلى حدّ كبير، بقدر اعتمادها على إنشاء فرق محلية ذات تكوين علمي رفيع المستوى. ففي السنوات الأخيرة، عاد العديد من العلماء الشبان الذين سافروا للحصول على الدكتوراه في الولايات المتحدة أو أوروبا إلى بلدانهم الأصلية، وهم بصدد القيام بتطوير مشاريع بحوث حول الحيوانات الأحفورية المحلية أفضت إلى اكتشاف مواد جديدة في مناطق غير مستكشفة ومعزولة نسبيا (مثل باتاغونيا أو مناطق الغابات الاستوائية الرطبة) إضافة إلى "إعادة اكتشاف" مواد تمّ السهو عنها في

• هل ستُعبر هذه الاكتشافات المعلومات المُتعلقة بالديناصورات على الصّعيد العالمي؟

بدون أدنى شكّ، لأنّه في علم الأحافير، من الصّوروي مقارنة العينات المكتشفة مع تلك التي سبق التعرف عليها حتّى يقع تحديد موقعها في سلّم التغيّرات الجينية، أي القرابة العائلية مع الديناصورات الأخرى. ويمكن لأحفوريّات جديدة ومقارنتها بالبقايا المعروفة أن تساعد على فهم تطوّر هذه الأجناس المكتشفة وتقييم طريقة تكوّنها، من خلال ملاحظة التغيّرات المورفولوجية. بهذه الطريقة تمكّن المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي في تشيلي أن يبيّن، في أبريل الماضي، أن البقايا التي تمّ العثور عليها في صحراء أتاكاما، في شمال البلاد، منذ ما يقرب من ثلاثين سنة، تنتمي إلى جنس جديد من التيتانوصور، وهو الأراكار ليكانانتاي Arackar licanantay.

• كيف يمكن تفسير هذه السلسلة من الاكتشافات في أمريكا اللاتينية في السنوات الأخيرة؟

هذه الاكتشافات تُبيّن بوضوح التطوّرات التي حدثت في مجال علم الأحفوريّات. تاريخياً، كانت الأرجنتين في طليعة المعرفة في المنطقة، بسبب الاهتمام بهذا التخصص ووجود أخصائيين من الطراز الأوّل على غرار خوسيه فرناندو بونابرت، الذي اكتشف أكثر من عشرين جنسا، و رودولفو

أحد أقدم الديناصورات المعروفة تمّ اكتشافه في الأرجنتين

ملاحظتها والانتباه إليها إلى حدّ الآن، مثل التجاويف الداخلية للجماجم أو الأذن الداخلية التي وقع سبرها بفضل التصوير المقطعي عن طريق الكمبيوتر. كما ساعدت الدراسات النسيجية التي تحلّل



▼ إعادة تجسيد رقمي
لشيليزوروس دياغوسواريزي،
2018. هذا الجنس الفريد من
نوعه، المكتشف في جنوب الشيلي،
يعدّ من الثيروبود النادرة المعروفة.

CC BY-SA 4.0 par Liam Elward

اكتشافات بالجملة

قد يكون هو أكبر ديناصور تمّ اكتشافه إلى اليوم، حسب دراسة نُشرت في يناير 2021 في مجلّة كريتايشوس ريزيرتش. وقد وقع الاكتشاف إثر حفريات تمّت في وادي نهر نوكيان، جنوب-غربي الأرجنتين. هذا الصوروبود العملاق، الذي يعود تاريخه إلى 98 مليون سنة خلت، يبدو أنّ حجمه يفوق حجم الباتاغوتيتان، «جبار باتاغونيا» أكبر ديناصور معروف حتى اليوم. ولقد اكتشف علماء الأحفوريّات 24 فقرة عظمية بالإضافة إلى عدة عظام من الحوض. هذه المجموعة من الديناصورات «سوروبود»، ذات العنق الطويل، عاشت في جميع أنحاء العالم، غير أن بعضا من آخر ممثليها عاش في أمريكا اللاتينية، حيث تطور ليُصبح عملاقا.

خلال شهر مارس، أعلنت جامعة سان لويس الوطنية، في الأرجنتين، عن اكتشاف لوكالكان أليوكرانيانوس Llukalkan aliocranianus، وهو حيوان لاهم عملاق كان يتنقل عبر الأرجنتين الحالية منذ حوالي 80 مليون سنة. تمّ في أبريل، قدّم المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي في تشيلي أراكار ليكانانتاي Arackar licanantay، وهو تيتانوصور يزيد طوله عن ستة أمتار، عاش قبل 66 مليون سنة في صحراء أتاكاما في شمال البلاد.



▼ الأراكار ليكاننتي، الجنس الثالث من الديناصورات المنقرضة من غير الطيور، اكتشف في الشيلي، في السنوات التسعين، بصحراء آتاكاما. هذا الجنس الجديد من التيتانوصور عُرض في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي بالشيلي، أبريل 2021.

أو غير معتمدة دولياً. وفي الواقع، فإن أعمال الباحثين غير مُعترف بها من قبل جزء من المجتمع العلمي. ورغم كلِّ هذا، فإن علم الأحفوريات هو اختصاص في ازدهار مُطرد في أمريكا اللاتينية، وإنَّ العديد من المواقع هي الآن محلَّ دراسة، خاصة في الأرجنتين، في منطقة نوكيان، أو في جبال الأنديز التشيلية، حيث تتم حالياً دراسة موقع آثار أقدام الديناصورات في منطقة ترماس ديل فلاكو. ■



© Stefano De Luca

▼ عملية تنقيب أركيولوجية في موقع رودابانيا بهنغاريا حيث اكتشفت بقايا قروود من العصر الميوسيني، ونشاهد في مطلع الصورة ميريام بيريز دي لوس ريوس.

الصبر اللحظة التي سنتمكّن فيها من العودة إلى التّلاقي مع الزملاء والحصول على المواد.

● **إذا طُلب من قسم مثل الذي تعملين فيه إعداد قائمة مثالية لاحتياجات السنوات الخمس المقبلة، فماذا ستكون؟**

من وجهة نظري، فإن احتياجات أيِّ قطب أبحاث هي نفسها في كلِّ مكان، وهي التّمويلات، والإرادة، وتوفّر فرق مُدرّبة على نحو جيّد. فمهما بلغ مستوى الرّغبة لدى فريق ما في إحداث ثورة في علم الأحافير الوطنيّة أو الإقليمية، لا يُمكن له القيام بعمله في غياب مؤسسات تدعم مشاريعه وتساندها. وفي كثير من الأحيان، تُؤدّي قلّة المعرفة لدى بعض المسؤولين المحليين المُكلّفين بتقييم المشاريع البحثيّة في علم الأحفوريات إلى التّقليل من قيمتها، حتّى أننا نضطرّ إلى التّخلي عن بعض محاور البحث، رغم الفائدة العظيمة التي يُمكن أن تُمثّلها على المستوى العالمي.

وأخيراً، فإن النقص في عدد المُتخصّصين في أمريكا اللاتينية أدّى إلى التّخفيض من سرعة تطوّر هذا المجال. بيد أن عدد الباحثين المُدرّبين في ازدياد، وسنلاحظ في غضون خمس إلى عشر سنوات تطوّراً كبيراً في المعارف العلمية، شرط أن تتمكّن الفرق من الحصول على معدّات عالية المستوى، والتي هي غير موجودة في المنطقة

بنية الأنسجة الحيّة على دراسة نموّ العظام. من ناحية أخرى، فقد تطوّرت كثيراً معرفتنا بطريقة تنقلّ الحيوانات والانسداد الذي يصيبها بفضل التحليل بطريقة العناصر المنتهية (FEA) بحسب التعريف الإنجليزي finite element method)، وهي طريقة حساب رقمية تسمح، من بين أشياء أخرى، بتمثيل السلوك الآلي بدقة.

● **هل كان للجائحة المرتبطة بكوفيد-19 تأثير على الأبحاث الأحفوريّة؟**

يُمثّل الوضع الصحيّ العالمي تحدّيّاً لكلِّ باحث يقوم بأشغال ميدانيّة ومخبريّة. ولقد تمّ إلغاء الزيارات الميدانية السنويّة لعدد الفرق بسبب عدم إمكانية تنقلّ المشاركين الدّوليين، ولأنّ التّمويلات توقّفت أو لأنّ عديد المؤسسات التي تدعم هذه الأبحاث خصّصت ميزانيّاتها لمقاومة الجائحة. كما أغلقت المتاحف والمعاهد أبوابها حتى أنه أصبح يتعدّد الوصول إلى المجموعات التي تحتوي على الأحفوريّات المعدّة للتّحليل. واضطّرت المؤتمرات المعنية بعلم الأحافير إلى مراجعة أداؤها والعمل عن بعد، مما يجعل من التّبادلات بين المُتخصّصين مجرّد عروض مسجّلة، وهو ما يحرماننا من النقاشات التي تُعتبر أساسية في العلوم. وكما هو الشأن لجميع الباحثين الآخرين، فأنا أنتظر بفارغ

مهنة الصحفي

محذوفة بالمخاطر

يتعرّض الصحفيون، يومياً، في جميع أنحاء العالم إلى مخاطر وتهديدات خطيرة من اعتداءات، وترهيب، وقتل، بسبب أدائهم لعملهم المتمثل في إعلام الجمهور.

ليندا كلاسن

اليونسكو

للوثيقة المعنونة: التأثير السلبي: الاتجاهات العالمية للعنف المرتكب ضدّ الصحفيّات عبر الإنترنت (2021)، وهي ورقة مفاهيمية تستند إلى دراسة أجراها المركز الدولي للصحفيين، وتشير إلى أنّ المسؤولين السياسيين، والشبكات المتطرفة، ووسائل الإعلام المتحرّرة، يُعدّون من بين المحرّضين الرئيسيين على العنف الذي يستهدف الصحافيّات على شبكة الإنترنت. وفي سياق جائزة كوفيد - 19، تعرّض العاملون في وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم للمضايقات والاضطهاد والحبس جزاء إطلاع المواطنين على تطورات الأزمة الصحية.

يُنشر هذا المقال بمناسبة اليوم الدولي لإنهاء الإفلات من العقاب على الجرائم المرتكبة ضد الصحفيين، الموافق لـ 2 نوفمبر..

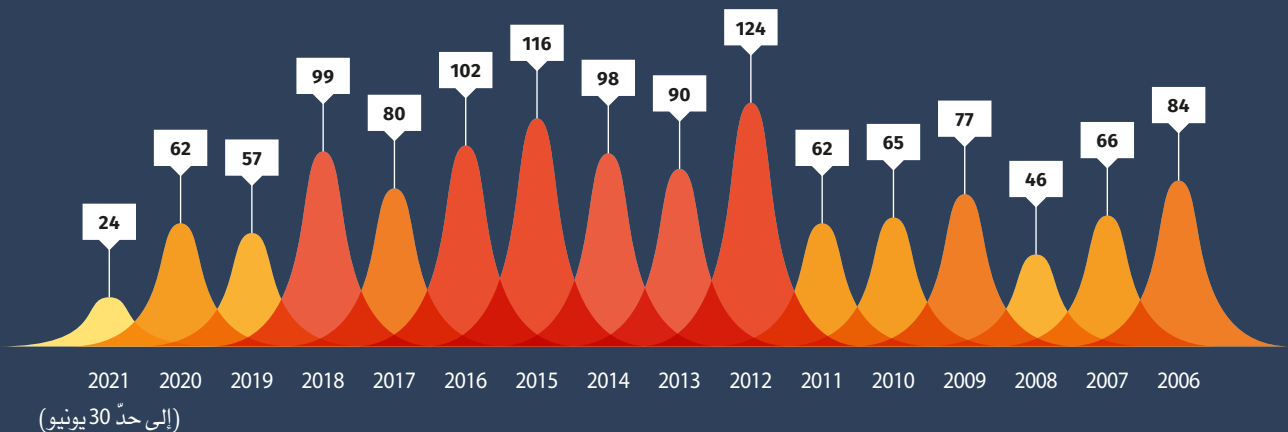
المصدر: تقرير المديرية العامة لليونسكو بشأن سلامة الصحفيين وخطر الإفلات من العقاب، 2020.

على مدار العقد الفارط، قُتل صحفي كل أربعة أيام. ومنذ 2016، فاق عدد الصحفيين القتلى خارج مناطق النزاع عددهم في البلدان التي تشهد حروباً. وبلغ مجموع القتلى في العالم، المبلغ عنهم فيما بين عام 2020 ونهاية يونيو 2021، 86 صحافياً.

ويبقى الإفلات من العقاب على قتل الصحفيين هو القاعدة إذ أن تسع جرائم قتل من أصل عشر لم تسفر عن أية ملاحقة قضائية. بيد أن عام 2020 شهد تحسناً طفيفاً، إذ بلغت نسبة القضايا المحسومة 13% مقارنة بـ 12% في عام 2019 و 11% في عام 2018. وفي عديد الحالات، يكون الإفلات من العقاب ناتجاً عن عوائق صلب النظام القضائي ذاته. وفي حين تشكل النساء نسبة أقل من ضحايا الاعتداءات القاتلة، فإنهن أصبحن يواجهن، على نحو متزايد، التهديدات، وممارسات التحرش القائمة على النوع الجنسي، سواء عبر الإنترنت أو خارج نطاقه. ووفقاً

جرائم قتل الصحفيين في جميع أنحاء العالم: الأرقام

عدد الصحفيين الذين قُتلوا بين عام 2006 ويونيو 2021



المناطق الأكثر خطورة على الصحفيين

2021 - 2020
(إلى حد 30 يونيو)

2019

إجمالي جرائم القتل المُبلغ عنها حسب المنطقة،
بين عام 2019 ويونيو 2021

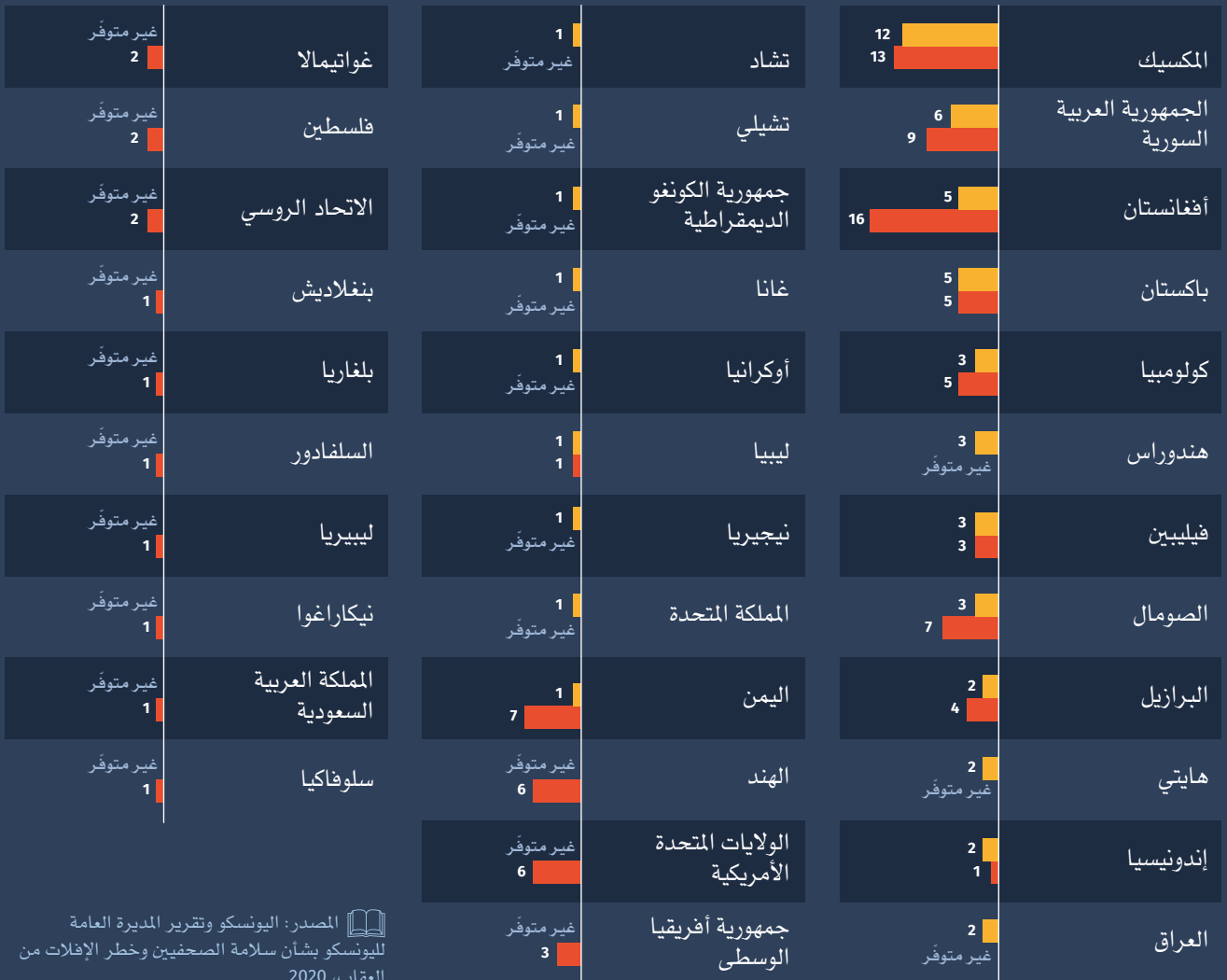


المصدر: اليونسكو وتقرير المديرية العامة لليونسكو بشأن سلامة الصحفيين وخطر الإفلات من العقاب، 2020

عدد جرائم القتل المُبلغ عنها بحسب البلد، 2019-2018

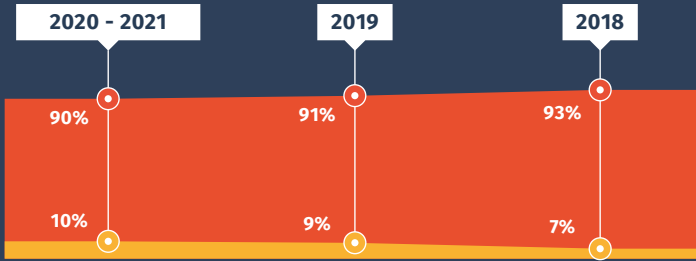
2019

2018



المصدر: اليونسكو وتقرير المديرية العامة لليونسكو بشأن سلامة الصحفيين وخطر الإفلات من العقاب، 2020

من الذي قتل وفي أي سياق؟

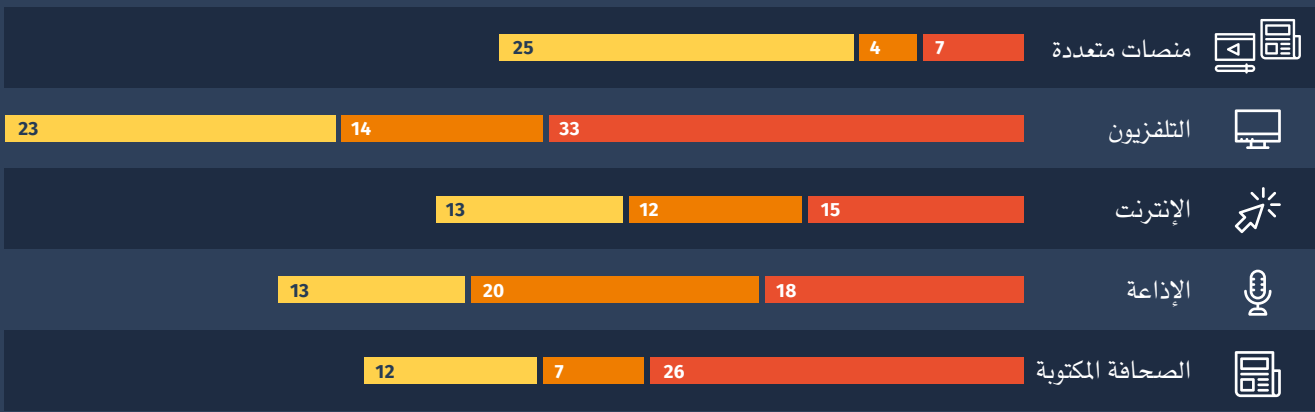


النسبة المئوية للرجال والنساء بين الصحفيين الذين قُتلوا بين عامي 2018 و2021 (إلى حد 30 يونيو)

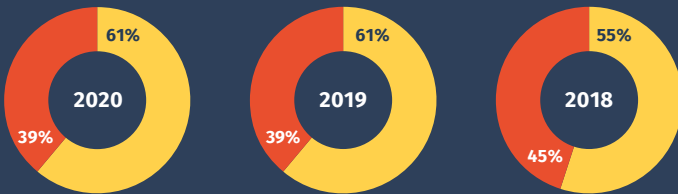
رجال ♀ نساء ♂

2021 - 2020 2019 2018

الصحفيون الذين قُتلوا، بحسب وسائط الإعلام، بين عام 2018 ويونيو 2021

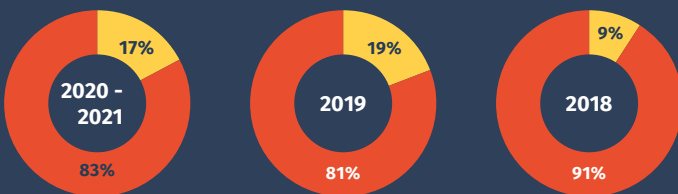


النسبة المئوية للصحفيين الذين قُتلوا في البلدان التي تشهد نزاعات مسلحة مقارنة بالبلدان الأخرى، 2018 - 2020

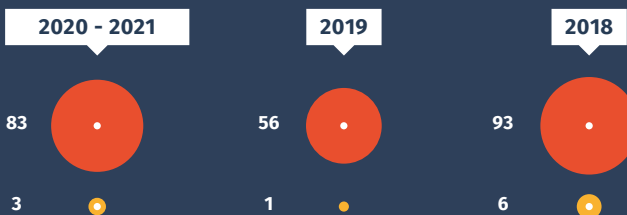


النزاعات المسلحة ⚔️ غياب النزاعات المسلحة 🚫

جرائم قتل الصحفيين الأجراء أو المستقلين، بين عام 2018 ويونيو 2021، بالنسبة المئوية



الأجراء 👥 المستقلون 🧑



المحليون 📍 الأجانب 🌐

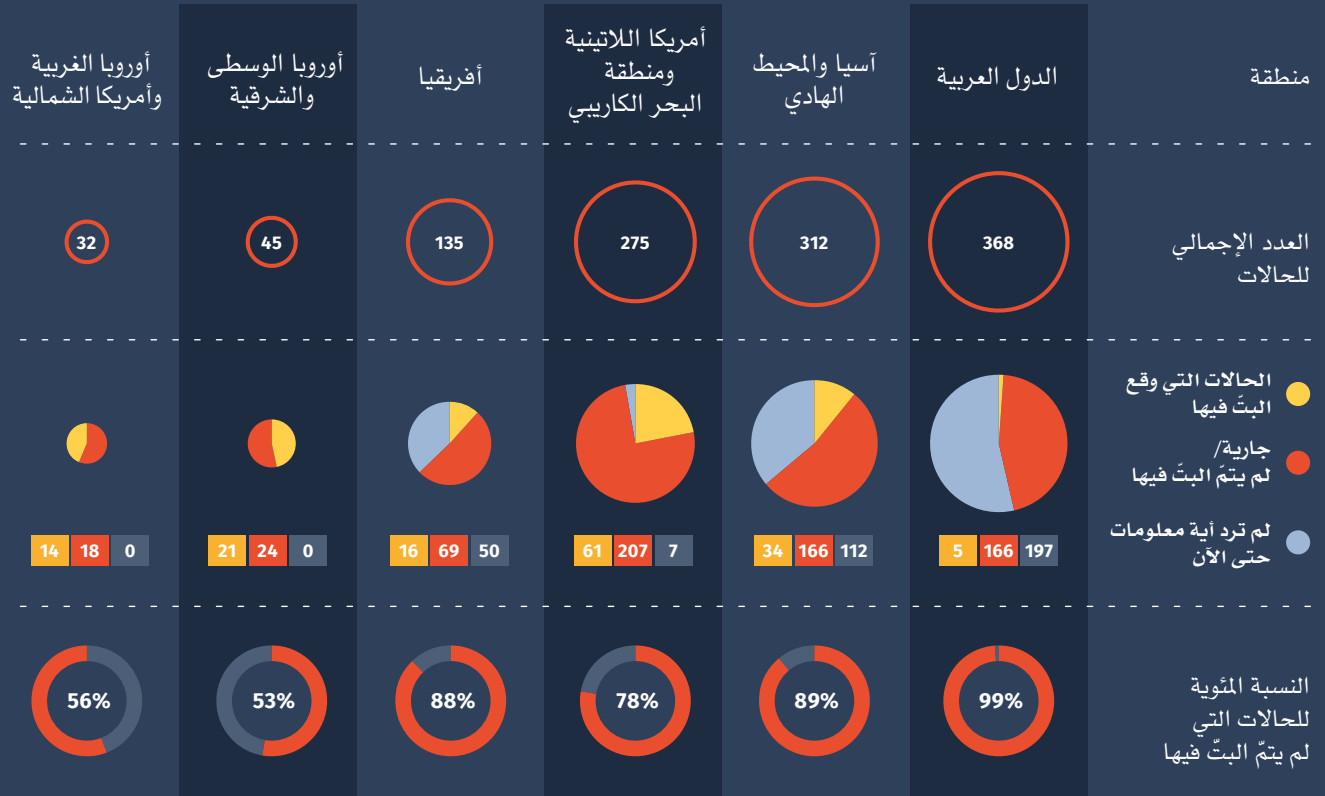
المصدر: اليونسكو وتقرير المديرية العامة لليونسكو بشأن سلامة الصحفيين وخطر الإفلات من العقاب، 2020

مآل المتابعات القضائية ؟

حالة التحقيقات في جرائم قتل الصحفيين، من عام 2006 حتى عام 2019، بالنسبة المئوية



حالة التحقيقات القضائية في جرائم قتل الصحفيين بحسب المنطقة، بين عامي 2006 و 2019



النساء والعنف على الإنترنت

من بين 901 من الصحفيين والعاملين في وسائل الإعلام - منهم 714* عرّفن أنفسهن كنساء - الذين شاركوا في دراسة استقصائية لوثيقة اليونسكو الاستشارية لعام 2021 والمعنونة الترهيب: الاتجاهات العالمية في العنف عبر الإنترنت ضد الصحفيات



أحدث الإصدارات



التراث العالمي عدد 99

التراث العالمي في الصين (عدد خاص)
ISSN 1020-4520 (طبعة فرنسية)
EAN 3059630102964
120 صفحة، 220x280 مم،
مقضب، 7,50 يورو
منشورات اليونسكو / بابلشينغ فور
ديفلوبمينتدرا ليميتيد.

عُقدت الدورة الرابعة والأربعون للجنة التراث العالمي في فوزهو (الصين/اجتماع عبر الإنترنت) في الفترة الممتدة بين 16 و31 يوليو 2021.

وتعمل لجنة التراث العالمي، في دوراتها السنوية، على إدراج أحد الممتلكات الثقافية على قائمة التراث العالمي. كما تدرس التقارير المتعلقة بحالة حفظ الممتلكات المسجلة، وتدعو الدول الأطراف إلى اتخاذ التدابير الضرورية في حالات الإدارة غير السليمة للممتلكات. وتقرّر اللجنة أيضاً إدراج ممتلكات ضمن قائمة التراث العالمي المعرض للخطر أو سحبها منها.

يعرض هذا العدد من «التراث العالمي» التنوع المذهل للمواقع الثقافية والطبيعية في الصين. وتُستعرض هذه المقاربات المنتهجة في إدارة هذا التراث الهائل باعتبارها دراسات لحالات معينة وأنشطة تربوية.



التراث العالمي عدد 98

مراقبة التراث العالمي من الفضاء
ISSN 1020-4520 (طبعة فرنسية)
EAN 3059630102964
72 صفحة، 220x280 مم،
مقضب، 7,50 يورو
منشورات اليونسكو / بابلشينغ فور
ديفلوبمينتدرا ليميتيد.

يُعد الاستشعار عن بعد أو استخدام التكنولوجيا لجمع المعلومات عن بُعد عن منطقة ما، وسيلة شائعة لتقييم الأضرار المحتملة التي تتعرض لها مواقع التراث الثقافي، أو لتقييم المناطق الطبيعية. ويعتبر تحليل صور الأقمار الصناعية مكوناً هاماً في هذه العملية.

في هذا العدد، سوف نرى كيف أن التعاون مع وكالات من قبيل المركز الدولي لاستخدام تكنولوجيا الفضاء لصالح التراث الثقافي والطبيعي (HIST)، ووكالة الفضاء الأوروبية (ESA)، ومعهد الأمم المتحدة للتدريب والبحث (UNITAR)، يتيح للخبراء تحديد الأماكن التي تعرّضت فيها مواقع التراث الثقافي إلى الأضرار، أو التي هي في حاجة ماسة إلى الحماية.

تناول قضايا المهاجرين واللاجئين

دليل مدرّسي الصحافة
ISBN 978-92-3-100456-8
(طبعة إنجليزية)
304 صفحة، 210x297 مم، PDF
منشورات اليونسكو
متوافر على الرابط:
<https://unesdoc.unesco.org>

يتناول هذا الدليل الموجه إلى مدرّسي معاهد الصحافة أحد تحديات القرن الواحد والعشرين، ونعني قضايا الهجرة واللاجئين حيث يوفّر لهم برنامجاً شاملاً من ثلاث عشرة وحدة تتعرّض إلى جميع الجوانب اللازمة للتّحليل، والبحث، والعرض التمهيدي، وأخلاقيات المهنة، بهدف تغطية موضوع الهجرة.

فطلاب الصحافة سوف يتعلّمون، بفضل هذا الدليل، أن قضايا الهجرة والنزوح القسري تتعلّق بكائنات بشرية وتتطلب، بالتالي، معارف، وإدراكاً بالحقائق الدقيقة، والمصادر الموثوقة، والتقارير الأخلاقية، والممارسات السليمة.

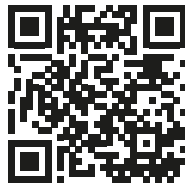
أصوات متعددة، عالم واحد

تصدر رسالة اليونسكو في اللغات الرّسمية الستّ للمنظمة، إضافة إلى لغات الإسبرانتو، والبرتغالية، والكتالونية، والكورية.



اشتركوا في النسخة الرّقمية

مجانا
100%



<https://ar.unesco.org/courier/subscribe>

تصلكم موقّ كلّ ثلاثية
نسخة ورقية من العدد الأخير

سنة واحدة (4 أعداد): 27 يورو

سنتان : (8 أعداد): 54 يورو

وحيث أن هذه النشرة ليس لها غاية ربحية،
فإن سعرها يُعطى فقط تكاليف طبعتها.

<https://en.unesco.org/courier> • <https://fr.unesco.org/courier>

<https://es.unesco.org/courier> • <https://ru.unesco.org/courier> • <https://ar.unesco.org/courier> • <https://zh.unesco.org/courier>

2021

أكتوبر
اليوم العالمي
للمعلمين

5



المعلم عماد

إنعاش التعليم

© UNESCO 2021. Icons from Shutterstock.com
ED-2021/W5/28

#WorldTeachersDay



International
Labour
Organization

